جامعة زيان عاشور –الجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ وعلم الآثار

ابن تُومرت بين المصادر المشرقيّة و المغربيّة الموحديّة "دراسة تاريخية تحليلية نقدية مقارنة"

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبين: إشراف الأستاذ:

بوعافية لخميسي أ.د/ عيساوي محمد

غربي محفوظ

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2026/06/14م

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/ قمان كمال.	رئيسا
أ.د/ عيساوي محمد.	مشرفا و مقررا.
د/ لبيض أبو بكر.	مناقشا.

السنة الجامعية: 1446-1447هـ/2025-2026م

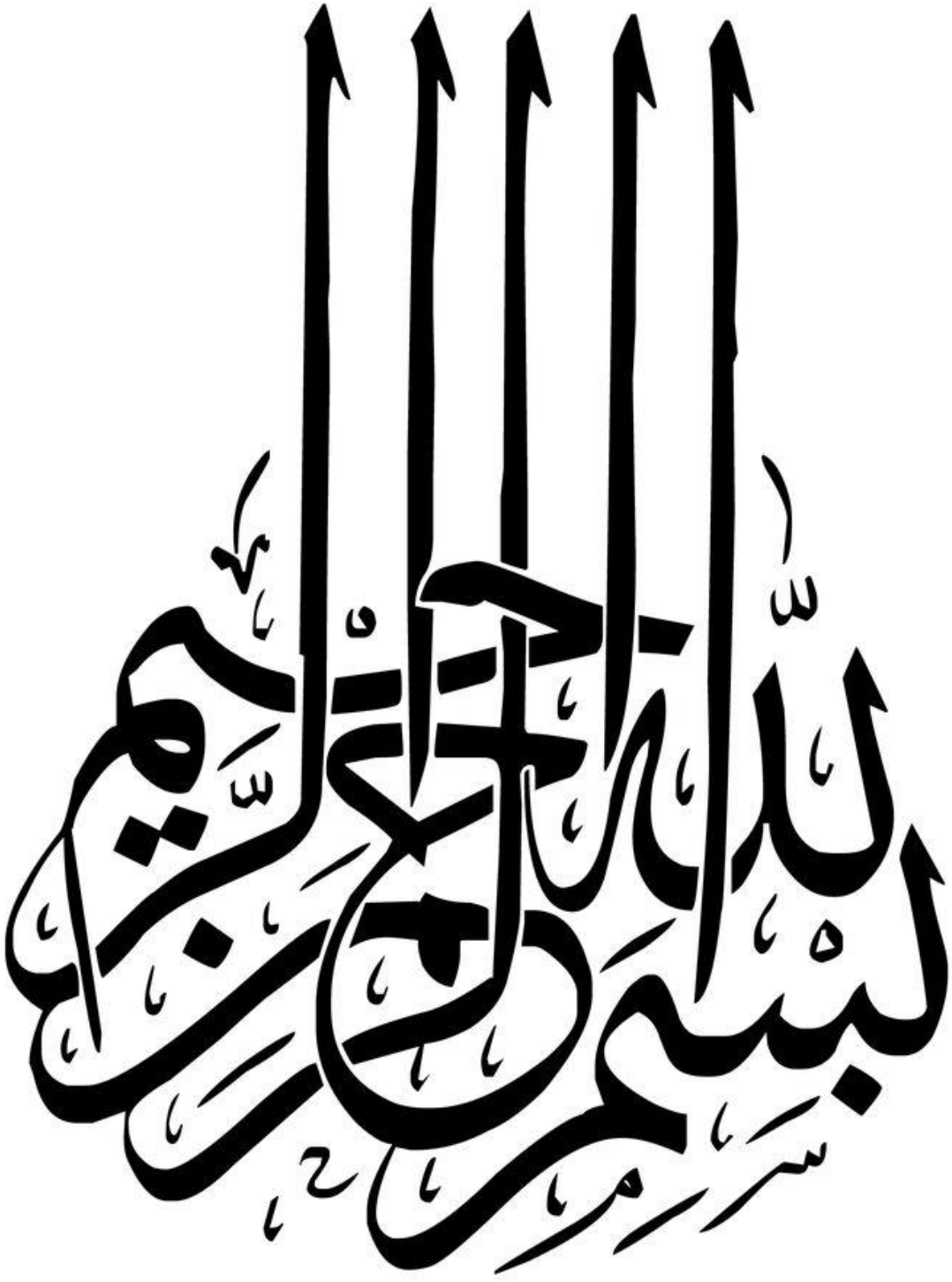
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع أوّلا إلى والديَّ الكريمين راجيا من الله أن يمدّهما بالصحّة، و يطيل عمرهما، ثم إلى زوجتي التي صبرت معي في انجازه، و إلى ولديّ أنس و جابر، و إلى كل اخوتي الأعزاء حفظهم الله.

و إلى معلمي العزيز "شحام لخميسي"

حفظه الله و أطال عمره

وإلى زملاء الدفعة كلٌّ باسمه.

الطالب: بوعافية لخميسي

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع أوّلا إلى والديَّ الكريمين راجيا من الله أن يمدّهما بالصحّة، و يطيل عمرهما، ثم إلى زوجتي التي صبرت معي في انجازه، و إلى ولديّ، و إلى اخوتي الأعزاء حفظهم الله.

وإلى زملاء الدفعة كلٌّ باسمه.

الطالب: غربي محفوظ

شكر و عرفان

نتقدم بالشكر الجزيل أوّلا إلى من رافقنا طيلة مراحل انجاز هذا العمل و نخص بالذكر الأستاذ العزيز القدير الدكتور "عيساوي محمد" و ذلك لقبوله أوّلا بالإشراف علينا في هذه المذكرة، و كذلك لما قدمه لنا من نصائح و توجيهات فهو لم يبخل علينا في هذا الجانب و كذلك صبره و سعة صدره إلى غاية اكتمال هذا العمل، فجازاه الله عنا خير الجزاء.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتنا الأفاضل عن كل ما قدموه لنا طيلة سنتين دراسيتين كانتا من أجمل و أثمن السنوات التي قضيناها في الدراسة و البحث فجازاهم الله عنا خير الجزاء هم كذلك.

كما لا ننسى إدارة الكلية التي سهرت على توفير كل أسباب التحصيل العلمي، إلى كل هؤلاء شكرا من القلب.

مُقدّمة

عرفت منطقة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بروز عدة شخصيات كان لها الدور الحاسمُ في تأسيس عدة كيانات سياسية و دينية، قامت بموجبها دول وسقطت أخرى، ومن بين هذه الشخصيات برزت شخصية ابن تومرت الملقب بالمهدي صاحب دعوة الموحدين، و الذي سقطت على يديه احدى أكبر الدول في المنطقة في ذلك الوقت، وهي الدولة المرابطية.

لقد صاحب شخصية ابن تومرت الكثير من الجدل بسبب أفكاره و منطلق دعوته، والأساليب التي استعملها في سبيل تحقيق طموحه السياسي، وكذلك لما ارتبط بها من تداخل بين الدّعوة الدينية و المشروع السياسي و بين الإصلاح العقدي إلى تأسيس سُلطة جديدة على أنقاض الدولة المرابطية.

إنّ الدارس لشخصية ابن تومرت سوف يصطدم بخلاف قوي بين مختلف المصادر حول هذه الشخصية، و سوف يلاحظ أنّ هذا الخلاف حدث بين مؤرخي المصادر المشرقية والمصادر المغربية الموحدية، هذه الاخيرة التي كان بعض مؤرخيها شاهدا على أحداث كثيرة لابن تومرت كالبيذق الذي كان مرافقا له في رحلاته و أثناء عودته من رحلته المشرقية، فهو في كتاباته يصور لنا ابن تومرت بأنه الإمام المعصومُ، و المصلحُ المجدّدُ، بينما المصادر المشرقية كابن الأثير والذهبي فإنها تحدثت بكثير من التحفظ على هذه الشخصية، و تدعوا إلى التعامل مع أخباره بحذر و تروّي .

و لهذا فالباحث في تاريخ ابن تومرت سوف يجد صعوبة في فهم هذه الشخصية المثيرة للجدل، خاصة أنه بدأ مشروعه بوصفه داعية إصلاحيا متأثرا بالرحلة المشرقية، و بالتيارات الكلامية السائدة آنذاك، فرفع شعار التوحيد و محاربة ما اعتبره انحرافا عقديا لدى المرابطين، غير أنّ مسار الدعوة عرف تحولا لافتا، من خلال تحوّله من الإصلاح الديني إلى الصراع السياسي والعسكري على السلطة خاصة بعد ادعائه المهدية و العصمة، وهو ما جعل عددا من

الباحثين يرون أنّ الرجل وظف الدين لتعبئة القبائل واضفاء الشرعية على مشروعه الطامح للسلطة.

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إجراء مقارنة بين رؤية كل من المصادر المغربية ونظيرتها المشرقية لشخصية ابن تومرت، و اخترنا لها أبرز المصادر من الجانبين، و جاء بحثنا هذا المعنون "**بشخصية ابن تومرت بين المصادر المشرقية والمغربية الموحديّة، دراسة تاريخية تحليلية، نقدية، مقارنة**" والذي حاولنا من خلاله أنْ نقف على أبرز القضايا محل الخلاف حول شخصية ابن تومرت، وذلك من خلال تتبع هذه الشخصية في المصادر الأساسية سواء المشرقية أو المغربية منها.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لما رأيناه من دور حاسم لهذه الشخصية في قيام الدولة الموحدية فهي تستحق مزيدا من الدراسة والاهتمام، كذلك لأنه كان أحد صناع التاريخ في العصر الوسيط بالمنطقة، و الدولة التي أسّسها خير شاهد على ذلك .

الدراسات السابقة:

كما تجدر الإشارة إلى أنّ الدراسات قليلة نوعا ما حول هذه الشخصية، و من الباحثين المميزين الذين تناولوا هذه الشخصية نجد: الدكتور **عبد المجيد النجار**، من خلال رسالته للدكتوراه بجامعة الأزهر تحت عنوان: "محمد بن تومرت حياتُه وآراؤه وثورتُه الفكريةُ والاجتماعية وأثرها بالمغرب"، فلقد تعرض بالدراسة للطرح القائم على اختلاف الروايات بين المصادر فيما

يخص رؤيتها لهذه الشخصية المثيرة للجدل وكان في كل مرة يجري المقارنات بين المصادر التي تحدثت عنها.

الإشكالية الرئيسية و الأسئلة الفرعية:

وعلى هذا الأساس وبناء على ما سبق يمكننا طرح الإشكالية الرئيسية التالية: هل كانت المصادر المشرقية مُجحفة في حق ابن تومرت، و لم تُقدمه في صورته الحقيقية، و هل ركّزت على اظهار جوانب معينة فقط من شخصيته و أهملت جوانب أخرى يراها البعض مهمة؟ و بالمقابل هل بالغت المصادر المغربية الموحدية في الرّفع من قيمته إلى درجة التقديس؟ وما هي أهم القضايا محل الخلاف بين هذه المصادر؟.

و تفرّعت عن الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات :

1-هل لعبت الأوضاع خاصة الدينية منها دورا في ظهور شخصية ابن تومرت و تبلور أفكاره و دعوته الاصلاحية؟

2-ما هي أهم القضايا التي كانت محلّ الخلاف بين المصادر المشرقية و المغربية الموحدية؟

3_ هل كان هذا الاختلاف مبنيا على أسس معرفية واقعية؟ و ما هي حجه كل طرف في ابداء آرائه؟

منهج الدراسة:

و لإنجاز هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على استقراء الأحداث والوقائع أولا، و اعتمدنا على المنهج التحليلي والنقدي، كما قمنا بإجراء دراسة مقارنة بين مختلف المصادر

المشرقية ونظيرتها الموحدية في تصويرها لشخصية ابن تومرت، وكذلك المنهج النقدي لإبراز دوافع كل طرف ومواقفه، للكشف عن أسباب هذا التباين في الآراء حول هذه الشخصية.

و للإجابة على الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية الأخرى قمنا بتقسيم بحثنا الى ثلاثة فصول، حاولنا من خلالها إظهار جوانب الخلاف و الاتفاق بين المصادر المشرقية والمغربية، وذلك على النحو التالي :

خصّصنا الفصل الأول للحديث عن حياة ابن تومرت وسيرته، وسبقنا ذلك بالتطرق إلى الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الدينية التي سبقت بروز شخصيته، و كذلك الأوضاع التي ساهمت في بروز أفكاره، وخصصنا الفصل الثاني لعرض أهم القضايا التي دارت حول هذه الشخصية، و رصدنا فيه أهم مكامن الاختلاف والاتفاق بين هذه المصادر في دراسة تاريخية مقارنة، كقضية النسب لآل البيت وقضية الالتقاء بالإمام الغزالي رحمه الله من عدمها وقضية المهدية والعصمة .

و أخيرا جاء الفصل الثالث الذي تناولنا فيه المصادر الأساسية المشرقية و نظيرتها المغربية الموحدية بالنقد والتحليل، و اخترنا مصدرا واحدا عن كل فريق حيث اعتمدنا على كتاب تاريخ الإسلام للذهبي و كتاب أخبار المهدي ابن تومرت للبيدق، كنموذجين لتمثيل كل طرف و اخضعناهما لنقد باطني خلصنا بموجبه إلى عدة نتائج عرضناها في خاتمة هذا البحث .

قراءة وعرض لأهم المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا في إنجاز هذا العمل على مجموعة من المصادر المغربية والمشرقية وحاولنا الموازنة بينها في إخراج المعلومة التاريخية، و استخلاصها قدر الإمكان، ومن بين هذه المصادر نذكر على سبيل الذكر لا الحصر:

1-من الجانب المغربي الموحدي:

اعتمدنا على كتاب "**أخبار المهدي ابن تومرت**" للبيذق (ت 550هـ/1165م)، إذ يعد من أهم و أقدم المصادر التي تناولت سيرة ابن تومرت، بل قد عايش الأحداث عن كثب، فالبيذق هو أحد تلامذته و خدمه المقربين، و قد رافقه في رحلاته مما يجعل كتاباته ذات قيمة عالية، خاصّة و أن أغلب المصادر الأخرى اللاحقة اعتمدت عليه في تناولها لشخصية ابن تومرت و سيرته، و اعتمدنا كذلك على كتاب "**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**" لعبد الواحد المراكشي(ت647هـ/1249م) كمصدر مهم لدراسة الفترة الموحدية، و قد ذكر الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام أنه ترجم له و أخذ عنه.

و من الكتب المغربية الموحدية نجد كتاب " **نظم الجمّان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**" لصاحبه ابن القطان المراكشي(ت628 هـ/1230م)، فهو يعد كذلك من المصادر الأساسية الهامة في دراسة تاريخ الغرب الاسلامي بصفة عامة و تاريخ الموحدين بصفة خاصة .

و من المصادر المعتمدة في الجانب المغربي نجد "**كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية**" لمؤلف أندلسي مجهول، يعرض معلومات قيمة حول سقوط المرابطين، وبروز دولة الموحدين على أنقاضها.

2-من الجانب المشرقي:

فقد اعتمدنا على المصادر التاريخية الأساسية التالية :

بداية بكتاب" **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام**" لصاحبه شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1348م)، والذي تناول فيه شخصية ابن تومرت من باب نقد الروايات وتمحيص

الأخبار فهو مؤرخ جمع بين الرواية التاريخية والتراجم والنقد الحديثي وعدم تقبل بعض الأفكار الصادرة من المهدي ابن تومرت.

واعتمدنا على كتاب "**الكامل في التاريخ**" لابن الأثير (ت630هـ/1233م)، ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر في التاريخ الإسلامي العام، وتكمن أهميته هذه الدراسة في كونه يتحدث عن شخصية ابن تومرت منذ ظهورها الى تطور الدعوة الموحدية، ثم صراعها مع المرابطين، مما يساعد على ترتيب الأحداث السياسية ترتيبا زمنيا متناسقا و هو عندما يستعرض أخبار ابن تومرت لا يقحم أراءه الشخصية في تفسير الوقائع، و يكتفي بالسرد التاريخي للأحداث، و هو ما يضفي عليه طابع الحياد نوعا ما.

ومن المصادر المشرقية المعتمدة كذلك كتاب "**وفيات الاعيان**" لابن خلكان (ت681 هـ/1282م)، إذ يعد هذا الكتاب من بين أهم المصادر في التراجم الأدبية والتاريخية، وبالنسبة لبحثنا فقد استفدنا منه في استخراج أهم صفات ابن تومرت و تكوينه العلمي، و العَقدي، و ثقافته، و رحلاته، و قدرته، على التأثير في أتباعه كما تحدث عن فصاحته و ذكائه في مواجهة خصومه .

أهم المراجع:

من أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في انجاز هذا البحث وساعدتنا كثيرا نذكر :

"**كتاب المهدي ابن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**" لصاحبه الدكتور عبد المجيد النجار، و هو رسالة دكتوراه نالت مرتبه الشرف الاولى من جامعه الازهر الشريف، حيث تناول فيه شخصية ابن تومرت من جميع الزوايا، و حاول إبراز مختلف وجهات

النظر و الآراء حوله، موظفا مصادر مختلفة و يعتبر هذا المرجع من أفضل الكتب التي تناولت سيره ابن تومرت .

و من المراجع الهامه أيضا في هذا الشأن نجد كتاب "**دور الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين**" لعنان محمد عبد الله، حيث ركز صاحبه على التفاعلات السياسية والثقافية بين المغرب والأندلس في فترة تاريخية حاسمه، من خلال تسليط الضوء على دور المرابطين، و بَعدهم الموحدين، في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الاندلس.

اعتمدنا كذلك على كتاب "**الاسلام في المغرب والاندلس**" لصاحبه ليفني بروفنسال المستشرق الفرنسي، الذي أولى عناية خاصة بدراسة تاريخ الغرب الاسلامي بصفه عامة، كما له آراء متفردة حول شخصية ابن تومرت .

و كأي بحث في طور الإنجاز و أثناء تحضيره يصطدم كل باحث ببعض العقبات خاصة و أن الموضوع الذي بين أيدينا أسال الكثير من الحبر، لأننا امام شخصية جدلية بامتياز بسبب اختلاف المعلومات، و تعارض الآراء حولها، بين المؤرخين المغربيين و نظرائهم المشرقيين، مما يُصعّب من التحقق من جوانب هذه الشخصية بدقة، فدعوة ابن تومرت قامت على مشروع اصلاحي ديني عقدي، ثم تحولت فجأة الى مواجهة عسكرية حاسمة مع المرابطين، و لهذا فمن الصعب اطلاق حكم عام حول هذه الشخصية، سواء بالتقزيم و التهميش، أو بالتقدير و الإطراء المبالغ فيه، و هذا كُلّه يضع الباحث أمام معضلة تاريخية تستوجبُ التمحيصَ، و التدقيقَ، قبل اطلاق أي أحكام تاريخية، لأن الباحث التاريخي، الحقيقةُ غايتهُ، و الموضوعيةُ سلاحهُ.

الفصل الأوّل:

حياة ابن تومرت وسيرته

أولا: أوضاع المغرب قبيل بروز شخصية ابن تومرت.

أ- الوضع السياسي.

ب-الوضع الاجتماعي.

ج-الوضع الديني و الثقافي.

ثانيا: حياة ابن تومرت و سيرته:

1-اسمه و نسبه.

2-مولده.

3-نشأته.

4-رحلته العلمية إلى المشرق

أولا : أوضاع المغرب قبيل بروز شخصية ابن تومرت:

قِيل أنّ الانسان ابن بيئته و لهذا و قبل التطرق لجوانب هذه الشخصية وجب معرفة أهم الظروف و الأوضاع التي رافقت و ساهمت في بروز شخصية ابن تومرت و أفكاره .

أ- الوضع السياسي:

شهد المغرب في النصف الثاني من القرن الخامس و أوائل القرن السادس الهجريين قيام عدة دول، كان المحرك الاساسي لها هو الطابع الإصلاحي، المبني على أسس دينية زرع علماء الدين بذوره، و الدولة المرابطية التي عاشت فيما بين سنه 448 هـ و سنة 541هـ هي واحدة من هذه الدول التي يصدق عليها ذلك القول[1].

بدأ أمر المرابطين حين ملك يوسف[2] أمير المسلمين جزيرة الأندلس، و أطاعته بأسرها و لم يختلف عليه شيء منها، عُدّ يومئذ في جملة الملوك و استحق اسم السلطنة، و تسمَّى هو و أصحابه بالمرابطين[3]، بعد تحقيق النصر في الأندلس دانت له المغرب، و بسط نفوذه عليها فتوحدت الأمة في المنطقة على يديه، فجعلوا من الجهاد راية لهم و إعلاء كلمة الله مطلبهم و

---

[1] عبد المجيد النجار، **المهدي ابن تومرت، حياته و آراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب**، رسالة دكتوراه نالت مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر، ط1 1983م ص ص 39- 40.

[2] هو **يوسف بن تاشفين** (ت 500 هـ/ 1106 م)، و هو من قامت الدولة المرابطية على يديه، و كان له البلاء الحسن في جهاد النصارى بالأندلس، و انتصر عليهم في موقعة **الزلاقة** الشهيرة سنة 779هـ.(ابن خلكان، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج7، ص 112 و ما بعدها).

[3] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العربية، صيدا، بيروت، ط 1، سنة 2006، ص 120.

أصبح يوسف بن تاشفين المنقذ لهم، و الملجأ حين يحتاجون إليه، و استعمل أولياءه و فقهاءه في ذلك واستشارهم[1].

و كان يوسف رجلاً ديّنًا، خيّرا، حازماً، داهيةً، مجرّباً، فاجتمعت طوائف المرابطين عليه و ملّكوه عليهم، و لقبوه أمير المسلمين، ثم سار إلى المغرب و افتتحها حصناً، حِصناً و بلداً بلداً، بأيسرِ سعيٍ، فأحبه الرعايا، و صلُحت أحوالهم، ثم قصد موضع مدينة مراكش[2] و اتخذها عاصمه له[3].

تميّز المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين بنزعة جهادية، كانت قِوام سياستهم، خاصة دفعُ النصارى و مجاهدتهم بالأندلس[4]، كما عرفت الدولة المرابطية بتقديمها للفقهاء، و تبجيلهم، فغلب هذا الميلُ على الدولة، و من ثم كان تقديمها للفقهاء و اختصاصها لهم دون من عداهم من أرباب المعارف المتنوعة، برغم ما صار إليها من جيوش العلماء و الفلاسفة من جرّاء فتح الأندلس[5].و لكنّ الوضع عرف تدهورا كبيرا، خاصة في فترة حكم الخليفة علي بن يوسف،

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام و ما يتعلق بذلك من الكلام**، تح: ليفني برفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط 2، 1956، ص 245.

[2] **مراكش:** من أكبر مدن المغرب الأقصى، بناها يوسف بن تاشفين سنة 740 م، كانت دار إمارة لمتونة و دار مُلْكهم، أزقتها واسعة، و مبانيها فسيحة و أسواقها مختلفة، كان بها جامعٌ بناه يوسف ابن تاشفين.(الإدريسي، **نزهة المشتاق**، دار عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1409هـ، ج1 ص 193 و ما بعدها).

[3] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،، ط 1، 1997، ج8 ص 137.

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 113.

[5] عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، ص 68.(لا يتوفر على بيانات طبع، من موقع ARCHIVE)

نتيجة لعدة عوامل من بينها: انحرافهم عن نظام الشورى إلى النظام الوراثي، و الذي سبّب نزاعا عنيفا بين أبناء علي بن يوسف على ولاية العهد و تولي السلطة[1].

و بعد سنة خمسمائة اختلت أحوال البلاد اختلالاً شديدا فظهرت فيها مناكر كثيرة، و ذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد، و دعواهم إلى الاستبداد كما استولت النساءُ على الأحوال و أسندت إليهنّ الأمور، و أمير المسلمين غافلٌ، و عكف على العبادة والتبتل، و أهمل أمور الرعية غاية الإهمال، و اختلّت الأحوال في الأندلس و اضطربت، و كادت تعود لحالها الأول، خاصة منذ قيام دعوة ابن تومرت[2].

ب- الوضع الاجتماعي:

تميز المجتمع المغربي بطابع البداوة، عكس المجتمع الأندلسي الذي كان حضرياً، و لكن عندما تمازج القطران في عهد يوسف بن تاشفين، حصل بينهما مزيدا من التبادل في شتى المجالات، و انتهى إلى انتشار المظهر الحضري بالمدن الكبرى للمغرب و على رأسها مراكش[3].

و لكنّ الاحتكاك بالأندلس جلب معه بعض المظاهر السلبية، كسفور النساء، و تبرجهنّ، و اقتحامهنّ القصور، و أسندت إليهنّ الأمور، و صارت كلّ امرأة منهنّ مشتملة على كلّ مفسد و شرير، و قاطع سبيل[4].

[1] محمد حسن العيدروس، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2008 م، ص 178.

[2] المراكشي، مصدر سابق، ص 135.

[3] عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 58.

[4] المراكشي، نفس المصدر و الصفحة.

و في مجال الأخلاق العامّة، تذكر كثير من المصادر التاريخية خاصة التي أرّخت لابن تومرت في أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر، أنّ الخمر كانت متفشيةً في المجتمع المرابطي، كما كانت رائجةً أيضا أدوات الطرب، مما ينبئُ بتفشي مجالس اللهو و المجون، كما كان من عادة القوم اختلاط النساء بالرجال في مناسبات التجمع العام و الخاص[1].

و قد أحدث هذا التغيير صدمة اجتماعية، خاصةً و أن حكام الدولة و أمرائها، كيوسف بن تاشفين و ابنه علي عُرفوا بالتقوى و الورع، فكان التباين و التناقض واضحا بين سلوك القادة و نمط حياة البعض من الرعية في المدن الكبرى بعد هذا التوحيد[2].

لم يبق سلطان هذه الدولة البربرية أي المرابطية طويلاً في أوجّ قوته، فقد بالغ القادة و الأمراء و غيرهم من الضباط و الرجال في إعجابهم بحضارة الأندلس، و ترفها المادي، الذي فاق حدود ما كانت تعرفه مدن شمال افريقيا، و هو ما تجاوز الفساد الأخلاقي إلى إضعاف المتانة الخُلقية في المجتمع المرابطي المغربي[3].

و عن سطوة الفقهاء، و تغلغلهم في دواليب الحكم في الدولة المرابطية، يقول المراكشي في كتابه المعجب: " **و لم يزل الفقهاء على ذلك و أمور المسلمين راجعة إليهم و أحكامهم صغيرها و كبيرها موقوفه عليهم، طول مدته فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا، و انصرفت وجوه الناس إليهم فكثرت لذلك أموالهم و اتسعت مكاسبهم**"[4] .

---

[1] النجار، نفسه، ص 59.

[2] علي ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة، الرباط، 1972، ص ص 163- 164.

[3] مونتغمري وات، **في تاريخ اسبانيا الإسلامية**، تر: محمد رضا، شركة المطبوعات، لبنان، ط 2، 1998، ص 111.

[4] المراكشي، مصدر سابق، ص 171.

و إذا كان لا ينبغي الانسياق مع المصادر التي كتبت في عهد الموحدين بإيعاز منهم أو بتملق لهم فيما نقلته من الفساد الاجتماعي والاخلاقي، في عهد المرابطين فيه شيء من المبالغة، فإنه يبدو من الواضح والثابت أنّ المجتمع المغربي كان عند ظهور ابن تومرت ينطوي على شيء غير قليل من المفاسد و الأمراض، سواء في مجال السلطة أو في مجال الاخلاق العامة[1].

و مدينة مراكش كان قد حوّلها ابن تاشفين من صحراء كانت سكناً للصوص، إلى مدينة ساحرة، اشتراها يوسف بماله، وبنى فيها القصور والمساكن الأنيقة، حيث كانت فترة حكمه هي العصر الذهبي لهذه المدينة[2].

ج- الوضع الديني و الثقافي:

إنّ مشروع الدولة المرابطية الذي بدأ بتحالف زعامتين: الأولى دينية، و الأخرى سياسية، تدعمان بعضهما. هذا التحالف استطاع أن يقضي على مظاهر الشرك و السلوكيات الخاطئة اللا أخلاقية، و الظلم بكل أشكاله في مجتمع المغرب و الصحراء، و قدّمت البديل الإسلامي الصحيح، فتوحدت القبائل بموجبها، في دول تتمذهب بالمذهب المالكي، و هو أحد مذاهب السنّة و الجماعة[3].و مما ساعد على انتشار المذهب المالكي، هو خلوّ المنطقة من الفرق الكثيرة المتعارضة، التي يؤدي احتكاكها ببعضها إلى حركة من الجدل و الصراع الفكري الذي يمتد إلى مواضيع العقيدة فينشأ فيها الاستدلال، و التأويل على غرار ما حدث بالمشرق[4] .

---

[1] النجار، مرجع سابق، ص 59.

[2] شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام**، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1998،ج34، ص 330.

[3] يخلف حاج عبد القادر، **التحالف و الخلاف بين السلطتين الدينية و السياسية نهاية عصر المرابطين و بداية عهد الموحدين**، مجلة عصور الجديدة، 2022، جامعة وهران، ص ص 139- 140.

[4] النجار، مرجع سابق، ص 50.

و لذلك فقد كان العلم الذي يهتم بالعقيدة إيرادا للاستدلالات و ردّا للشبهات و لقي المعارضة من عموم أهل الأندلس والمغرب[1].

و هذا بالرغم من كثرة عدد الفقهاء، خاصة في فترة علي بن يوسف بن تاشفين هذا الأخير كان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون استشارة الفقهاء، فكان إذا ولّى أحدا من قُضاته كان فيما يعهد إليه ألاّ يقطع أمرا، و لا يثبت حكما في صغير من الأمور، و لا كبير إلا في حضرة أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيماً لم يُبلَغ مثله في الصدر الأول من فتح الاندلس[2] .

و قد بلغ التشدّدُ في محاربة كل مذهب مستجدّ، عدا ما وافق المذهب المالكي، و قد عبّر المراكشي عن ذلك بقوله: " **و دانَ أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، و قرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام، و كراهة السلف لهم، و هجرهم من ظهر عليه شيء منه و أنه بدعة في الدين و ربما أدّى أكثره إلى اختلافٍ في العقائد و توعّد من وجد عنده شيئ من كتبه**"[3].

و عن الفساد الأخلاقي الذي كان منتشرا في المغرب أيام المرابطين، خاصة في مراكش، يقول الذهبي: " **و عندما وصل المهدي ابن تومرت إلى مراكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن علي بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه فزاد في أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر فكثر أتباعه و حسُنت الظنون به**[4]."

---

[1] نفس المرجع و الصفحة.

[2] المراكشي، مصدر سابق، ص 130.

[3] نفسه، ص 131.

[4] الذهبي، مصدر سابق، ج8، ص 655.

لقد تشدّد الفقهاء المرابطون في مسألة الخوض في علم الكلام، و يظهر ذلك في أمر أمير المسلمين بإحراق كتب الغزالي، حيث حاول الإمامُ أن يصف من يحق له الكلام، و من ينبغي له أن يجمع عنه، غير أن دعوته لم تجد استحسانا عند الحنابلة[1].

و حسبهم فإنّ علم الكلام أمر مرفوض عندهم، مؤكدين على كراهية السلف و ابتعادهم عنه، على نحو ما قرره الإمام مالك بن أنس بقوله: " **الاستواء معلوم والكيف مجهول و الإيمان به واجب و السؤال عنه بدعة**[2]".

و إذا كان فقهاء الدولة المرابطية هم من حملوا على عاتقهم مهمه بناء الدولة، وقوتها، سيكونون في نهاية عهدها المِعول الرئيسي الذي أدى إلى تقويض أساسات ملكها، بعد أن تغيرت حياةُ بعضهم، من الزهد والتقشف، و الجهاد، إلى الرفاهية، و الابتعاد عن التعاليم الصحيحة التي أُسّست عليها دولتهم[3] .

خاصة و أنه في هذه الأثناء عاد من المشرق إلى بلاد المغرب رجلٌ اسمه: **محمد بن تومرت،** يحمل معه عِلما غزيرا، و يُخفي في قرارة نفسه مشروع تأسيس دولة تحكم المنطقة ككل، إنّه سِراجُ الموحدين[4].

---

[1] نور الهدى جلولي و أمال زروق، **المهدي ابن نومرت مهدي الموحدين بين التقديس و التجريم**، رسالة ماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2025، ص 15.

[2] عبد القادر ربوح، **منهج الإصلاح ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط**، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، عدد، 9 سبتمبر،2018، ص 61.

[3] يخلف حاج عبد القادر، مرجع سابق، ص 142.

[4] البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971، ص 16.

ثانيا: حياة ابن تومرت و سيرته:

1- اسمه و نسبه:

أ- الاسم:

بحسب مؤرخي الدولة الموحدية فإنّ الاسم الكامل لابن تومرت هو: "**محمد بن عبد الله** المعروف ب:" **تومرت**" **ابن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن العباس بن محمد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم**" و قيل هو دعيّ في هذا النسب الشريف[1] .

يقول ابن خّلكان عن نسبه: وجدت على ظهر كتاب النسب للشريف العابد، بخط أهل الأدب من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور، فنقلته كما وجدته، و هو: "**محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رياح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه**"، و الله اعلم[2] .

كانت له كنية هي: "**أبو عبد الله**" و قد أوردها ابن الخطيب في كتابه الحلل الموشية بقوله: "**دخل أبو عبد الله محمد بن تومرت الملقب بالمهدي إلى المسجد الجامع بمراكش يوم جمعة**"[3]

لُقّب في صغره ب "**أمغار**[1]"، و هو محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال[2].

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص 172.

[2] ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 46.

[3] مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: د.سهيل زكار و الأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط 1، 1979، ص 100.

و يذكر الذهبي بأنه هو: " **محمد بن عبد الله بن تومرت أبو عبد الله الملقب نفسه بالمهدي**" و أنه كان يدّعي أنّه حسني علوي[3].

أما برفنسال و هو من الباحثين المحدثين، فقد توصل إلى أن ابن تومرت كان يتسمّى باسم بربري بحت، و أنه استبدل اسمه البربري باسم محمد في وقت متأخر تأسّيًا باسم الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، و قد أراد أن يتأسّى به في كل أعماله[4].

غير أنّ هذا القول ليس له سند صحيح في الوثائق، و ما جاء فيه من التيمُّن باسم الرسول صلى الله عليه و سلم يشكل نقضا له، حيث جرت عادة المسلمين عربهم، و عجمهم على أن يكثروا تيمنا، من اطلاق اسم محمد على مواليدهم منذ الولادة لا عند الشباب و الكهولة[5].

و يذكر ابن القطان أنّه كان يُلقّب في صغره حينما كان يقرأ في الكُتّاب ب: "**أسفو**"، و تعني بالبربرية: **الضياء**، لملازمته ايقاد القنديل في المسجد، من أجل القراءة و الصلاة[6].

كما أطلق عليه أتباعه و مناصروه في تآليفهم، و رسائلهم، و مخاطباتهم لفظة: "**الامام المعصوم**"، و "**المهدي المعلوم**"[7] .

---

[1] **أمغار**: لقب بربري، يعني الرجل العجوز، صاحب الحكمة و المعرفة، و التي يكون ابن تومرت اتصف بها في صغره.(رقاد الجيلالي، **الطقوس الأمازيغية لبوعفيف،"أمغارو قروش"**، مجلة روافد، المجلد 7، جوان2023،ص 22.).

[2] ابن خلدون، **العبر و ديوان المبتدأ و اخبر في تاريخ العرب و البربر و ما عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة: د .سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 1981، ج6، ص 301.

[3] الذهبي، مصدر سابق، ج36، ص 106.

[4] ليفني برفنسال، **الاسلام في المغرب و الأندلس**، تر: السيد محمد عبد العزيز سالم و محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1990، ص 264.

[5] النجار، مرجع سابق، ص 23.

[6] ابن خلدون، نفس المصدر و الصفحة.

[7] الذهبي، نفس المصدر، ص 113.

أما لقب **تومرت** فحسب ليفني برفنسال فإنه يدل على صيغة واضحة للتأنيث، و قد يكون احدى أسماء جداته، و الذي غلب على نسبه، و ربما احياءً لذكرى نظام الامومة القديم، و لعله اسم أمّه، وكان جدّ ابن تومرت لأخيه يسمى: "**أجلد**" و جدّه لأمه "**وبوركان**" وهذه اسماء لا شك في أصالتها[1].

و في مصادر أخرى فإنّ لقب تومرت أطلقته عليه والدته، تعبيرا عن فرحتها بمولودها، فكانت تردد العبارة باللهجة البربرية: " **آ تومرت اسيك آبيو**" وتعني: يا فرحتي بولدي[2].

ب- النسب:

ينتمي ابن تومرت إلى قبيلة "**هرغة**[3]"، و ذلك باتفاق كل المؤرخين الذين ترجموا له، و هرغة هي بطن من بطون القبيلة البربرية الكبرى مصمودة، و هو ما ذكره ابن خلدون بقوله:" **أصله من هرغة من بطون المصامدة**[4]."

و يذكر ابن الاثير هذا الاصل بقوله: "و قبيلته من المصامدة، تعرف ب: هرغة في جبل السوس[5]، و هرغة هي احدى بطون القبيلة الكبرى مصمودة وهم قوم يعرفون بإسرغينن و هم الشرفاء بلسان المصامدة[6].

---

[1] برفنسال، مرجع سابق، ص 265.

[2] أرحومة سالم أمهيري ابراهيم، **محمد ابن تومرت و آراؤه الفكرية**، بحث مقدم لاستكمال الحصول على درجة الماجيستير، جامعة سبها، ليبيا، 2006، ص 26.

[3] **هرغة:** و هم قبيلة الإمام المهدي، و هنتاتة، و تينملل، و قد ادثروا و تلاشوا في كل اتجاه.(ابن خلدون، العبر، مصدر سابق،ج6،ص 359.).

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 301.

[5] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 654.

[6] محمد ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح: عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1903، ص 3.

و بالرغم من اتفاق جلّ المؤرخين حول انتسابه لقبيلة هرغة البربرية، إلا أنّ اختلافاً و لُجاجةً حدثت حول هذا النسب، فيما إذا كان بربريا خالصا أو منتهيا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، فنجد ابن القطان مثلا يتحدث عن النسب العلوي لابن تومرت، فيقول:" **هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان ابن سفيان ابن صفوان بن جابر بن عطاء بن رياح بن محمد بن الحسن ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما**[2]".

و المراكشي يقول: أنّ لمحمد ابن تومرت نسبة متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وُجِدَتْ بِخطّهِ[3].

غيرَ أن بعض المؤرخين عارضوا هذا النسب العلوي لابن تومرت، مما يسفر عن شكهم فيه[4]، بل عبّر بعضهم عن نفيه و نكرانه، كالذهبي الذي يقول:" **كان يدّعي أنّهُ حسني علوي**[5]".

و في قضية النّسب هذه فلقد خصّصنا مبحثا كاملا لها في الفصل الثاني من هذا البحث.

ج- المولد:

1- المكان:

وُلد بقرية تدعى "**إيجلي أن وراغن**"، الواقعة بمنطقة السُّوس جنوب المغرب[1]، و يذكر ابن القطّان أنّه وُلد بموضع يسمى "**نومكران**" و هو موضع لا ماء فيه، و إنما يشرب أهله ماء المطر، و هناك داره[2]، فهو ينتمي إلى منطقة السوس، ولد و نشأ بها[3].

[1] النجار، مرجع سابق، ص 24.

[2] ابن القطان، **نظم الجمّان**، تح: محمد علي مكي، دار الغرب الاسلامي، ط 1، 1990، ص 87.

[3] المراكشي، مصدر سابق، ص 136.

[4] النجار، مرجع سابق، ص 26.

[5] الذهبي، مصدر سابق، ج36، ص 106.

و لعل قرية إيجلي التي ذكرها المراكشي هي التي سماها الزركشي "**ايكلين**" هي الأرجح حسب المؤرخين، و لكن منطقة السوس لا خلاف حولها، في كونها مسقط رأسه[4].

2- الزمان:

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ميلاد ابن تومرت، و تباينت الآراء حوله، و ذلك لأنهم انقسموا في تحديد تاريخ ميلاده إلى ثلاثة فرق[5]:

الفريق الأول اعتمد على تاريخ وفاته، أو عمره عند وفاته، و هو ما سار عليه ابن القطان، عندما قال: أنّ عمره رضي الله عنه عند وفاته كان نحوا من **خمسين** سنة[6]، و قال ابن الأثير: ثم مات المهدي وكان عمره **احدى و خمسين** سنةً، و قيل: **خمسا و خمسين** سنةً[7].

و الفريقُ الثاني يذكر ويحدد زمن المولد، مثل ما ذكره ابن خلّكان أنّه كانت ولادته يوم عاشوراء، سنه **خمس و ثمانين و أربعمائة**[8]، و قال ابن الخطيب أنّ مولده سنة **ست و ثمانين و أربعمائة**[9].

أمّا الفريق الثالث فيحدد عمره و تاريخ ولادته، من خلال رحلته الى المشرق بمقارنة تاريخ بدء الرّحلة[1].

---

[1] المراكشي، نفس المصدر و الصفحة.

[2] ابن القطان، نفسه، ص 90.

[3] النجار، نفسه، ص 31.

[4] النجار، نفسه، ص 30.

[5] نفسه، ص 31.

[6] ابن القطان، مصدر سابق، ص 167.

[7] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 660.

[8] ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 53.

[9] مجهول، الحلل الموشية، ص 117.

ينقل ابن خلّكان أنه رحل إلى المشرق في شبيبته طالبا للعلم[2]، و يوافقه ابن الأثير في ذلك بقوله: و كان ابن تومرت قد رحل في شبيبته إلى بلاد الشرق في طلب العلم[3].

و بالوقوف على هذه الآراء حول تاريخ مولده، و ما تحمله من تضارب، تُسفِرُ على أنّ الفترة المحتملة لمولد المهدي بن تومرت هي الفترة الممتدة من سنه (469هـ) إلى (491هـ) و هو أمر يدعو إلى مزيد من الموازنة و الترجيح، للوصول الى تاريخ أكثر ضبط و دقّة[4].

3- نشأته:

أ- أسرته:

يصفها ابن خلدون بأنها كانت أهل نسك و رباط، و أنه شبّ على القراءة و حب العلم[5].

فهي بحسبه أسرة ذات مكانة علمية.

وهم من قوم يعرفون ب: "**اسرغينن**"، و هم الشرفاء بلسان المصامدة[6]، و يبدو أنّ الأسرة التي ينتمي إليها ابن تومرت كانت من أواسط القوم، غير بارزة الثروة، إلا أنها كانت ذات مكانة دينية، مثل ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله السابق[7].

---

[1] النجار، نفسه، ص 32.

[2] ابن خلكان، نفس المصدر و الصفحة.

[3] ابن الأثير، نفسه، ص 654.

[4] النجار، مرجع سابق، ص 32.

[5] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 301.

[6] المراكشي، مصدر سابق، ص 136.

[7] النجار، نفسه، ص 34.

أمّا والده فهو عبد الله، و تومرت، و الشيخ، وأمغار، أما تومرت فقد لقبته أخته به، و هذه كلها ألقاب لوالده، الذي عاش إلى أن لحقهم ببجاية[1]، و يذكر ابن خلكان أنّ والده هو عبد الله[2].

لكن برفنسال ينفي أن يكون اسمه عبد الله و أن اسمه بربري بحت، لأنه يُعتقد أنه كان رئيسا لقريته في ذلك الوقت، كان يعرف وقتئذ بالأمغار، الذي يقابله الشيخ في العربية، و أنّ ابن تومرت غيّر اسم والده إلى عبد الله، بعد أن غيّر اسمه هو الاخر إلى محمد[3].

و يفتقد رأي برفنسال إلى الدقة والحجة المثبتة[4].

و تومرت هو اللقب الذي بقي مشتهرا به عبر الزمن، و كان فقيرا اغتنى بفضل الهدايا التي وصلته بمناسبه ولادة ابنه محمد[5]، و يبدو أن مسألة الهدايا التي اغتنى بسببها كانت من وضع بعض الرواة بياناً لبركة المهدي و خيرية عرقوبه[6].

أمّا أُمّ ابن تومرت، فلا نعرف عنها سوى أنّ كنيتها أم الحسين، و هي بنت وابركن المسكاني من بني يوسف، و قد أعنست عند أهلها، فلما خطبها عبد الله و كان فقيرا، رغب أهلها في مصاهرته[7].

[1] ابن القطان، مصدر سابق، ص 88.

[2] ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 46.

[3] برفنسال، مرجع سابق، ص 265.

[4] النجار، مرجع سابق، ص 34.

[5] ابن القطان، مصدر سابق، ص 90.

[6] النجار، نفسه، ص 35.

[7] ابن القطان، نفس المصدر و الصفحة.

كان لابن تومرت إخوة، أصبحوا فيما بعد أكثر شهرة، و هم: أبو موسى عيسى، و أبو محمد عبد العزيز اللذان ثارا على **عبد المؤمن بن علي**[1]، و انتهى الأمر بقتلهما، و من إخوته كذلك أبو العباس و أحمد الكفيف، و أم أبي بكر زينب رحمها الله، و كان له عمّ اسمه وبوركن بن وكليد و عمة اسمها حواء بنت وكليد[2].

و يبدو من خلال هذه المعلومات اليسيرة عن أسرة المهدي أنها كانت أسرة بسيطة يسودها الوئام والمحبة، و يتعامل أفرادها على أساس من الأخلاق الاسلامية، خاصة فيما يظهر بعلاقته بوالده و أخته زينب[3].

ب- بيئة السوس المغربية:

كانت منطقة **سوس** من المناطق التي تشع نحوها الحواضر، و قد أطل عليها الإسلام من أيام عقبة، ثم رسخ فيها أيام بن نصير، و هي منطقة تقع جنوب المغرب الأقصى، و هي ما يقع من سفوح درن الجنوبية إلى حدود الصحراء من وادي نول و قبائله، و من تكنة و الركائبات و إليهما إلى حدود طاطة و سكتانة[4]. و السوس فيها خيرات كثيرة، جمعت فنون المآكل كلها، كالأترج و الجوز و اللوز و النخل و قصب السكر، و أهل الفرقتان أهل

[1] **عبد المؤمن بن علي:** سلطان المغرب الذي لقب بأمير المؤمنين الكومي، القيسي، المغربي، ولد في تلمسان و كان أبوه يصنع الفخار، و هو صاحب دعوة ابن تومرت، و أول خليفة للموحدين.(شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1984،ج19، ص 366.).

[2] البيذق، مصدر سابق، ص 20.

[3] النجار، مرجع سابق، ص 36.

[4] محمد مختار السوسي، **سوس العالمة**، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1960، ص 17.

السنة و أهل الشيعة، و الغالب على طبع سكانها الجفاء و الغلظة في العشرة، و قلة رقة الطبع[1].

و لم تكن بمنطقه السوس في القرن الخامس و ما قبله مراكز علميه مرموقة تشع على أهل المنطقة، و تغرس فيهم فكرا دينيا متأصّلا إلاّ أنّها لم تخلُ من بعض العلماء، يستقرون في بعض أنحائها، و من هؤلاء "**وجاج بن زلو اللمطي**" (ت 445هـ)، الذي تعلم في القيروان، ثم استقر في إيجلو، و منهم "**عبد الله بن ياسين**" (ت 451هـ)، و الذي انطلق في جهاد لتأسيس الدولة المرابطية[2].

و أهل السُّوس كانوا أقرب إلى السطحية في تصورهم العقدي، و هو ما صوره ابن حوقل بقوله: "**و المالكيون عندهم فظاظ الحشوية**[3]"، وصل الأمر بين فرق الشيعة و السنة في المنطقة إلى الاقتتال و التنافر، حيث كل فرقة تصلي في الجامع منفردة بعد صلاة الأخرى[4].

4-رحلته العلمية إلى المشرق:

لقد شبّ ابن تومرت قارئا، محبًّا للعلم، و كان يسمى: "**أسافو**"، و معناه الضياء، لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها، و ارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة[5]. و انطلاقا من السوس التي نشأ بها، ارتحل إلى المشرق لطلب العلم[1].

---

[1] أبو القاسم بن حوقل النصبي، **صورة الأرض**، مطبعة بريل، لندن، 1938، ص 91.

[2] السوسي، نفسه، ص 17 و ما يليها.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 91.

[4] نفس المصدر و الصفحة.

[5] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 301.

يعتبر المشرق بالنسبة لأهل المغرب عامة محط آمال الراغبين في العلم، و التوّاقين إلى التبحر فيه، و لا يتحقق ذلك عندهم إلاّ بالارتحال إلى عواصم العلم هناك، مثل بغداد، و دمشق، و المدينة و غيرها[2].

و عن توقيت رحلته يذكر المراكشي في معجبه: أنه رحل إلى المشرق في شهور سنة (501 هـ)، و انتهى إلى بغداد[3].

كانت الأندلس أولى محطاته، حيث رحل من وطنه "**هرغة**"، و هي قبيلة بسوس الأقصى، في طلب العلم، سنة **خمسمائة**، و جاز فيها من مرسى **المرية**، في مركب إلى الشام، فقرأ على الإمام " **أبي عبد الله الحضرمي**"، و بمصر على الإمام " **أبي الوليد الطرطوشي**"، و ببغداد على الإمام " **أبي حامد الغزالي**"، و قد كان كتابه الذي سماه: "**إحياء علوم الدين**" قد وصل إلى المغرب و الأندلس[4].

و كانت المهدية محطته الثانية بعد الأندلس، و أخذ فيها عن الإمام " **المازري**[5] "، ثم انتقل إلى الإسكندرية و هو ابن ثماني عشرة سنة، و أخذ عن الإمام أبي بكر الطرطوشي[6].

---

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج36، ص 106.

[2] النجار، مرجع سابق، ص 63.

[3] المراكشي، مصدر سابق، ص 136.

[4] الحلل الموشية، ص ص ، 103- 104

[5] **المازري**: محمد بن علي بن عمر التميمي، المازري أبو عبد الله، نزل المهدية ، و أصله من مازر التي تتبع صقلية، و لم يكن للمالكية في عصره أفقه منه، له مؤلفات في الفقه و الأصول و شرح كتاب مسلم توفي سنة 536هـ(ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996، ص 374.)

[6] الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح:محمد ماخور، المكتبة العتيقة، تونس، ط 2، ص 4.

بعد المهدية جاءت محطة مصر، و بمدينة الاسكندرية بالذات، حيث تلقى هناك دروساً على أبي بكر الطرطوشي (ت 521هـ)، و كانت الاسكندرية هي المستراح الممتاز للمغاربة في طريقهم إلى الحج[1].

ثم واصل طريقه نحو مكة المكرمة، و هناك أدّى فريضة الحجّ، و أقام بمكة مدة و حصّل طرفا صالحا من علم الشريعة، و الحديث النبوي، و أصول الفقه و الدين[2].

و يذكر ابن الاثير أنه قفل إلى المغرب بعد الانتهاء من طلب العلم بمكة، حيث قال: "فحج من هناك و عاد الى المغرب"[3].

أما ابن خلدون فإنه يقول: "بانّه زار العراق و لقي جُلّة من العلماء و فحول النظار و أفاد علما واسعا"[4].

و تضاربت الآراء حول حقيقة لقائه بالإمام الغزالي أثناء رحلته المشرقية، فاللقاء يثبته مؤرخو الدولة الموحدية كابن القطان، و ينفيه أو يشكك فيه بعض مؤرخي المشرق كالذهبي[5].

ثم عاد ابن تومرت إلى وطنه الأم من رحلته العلمية في مطلع سنه (515هـ/ 1121م)[6]، بعد أن مكث ما يقارب العشر سنوات في طلب العلم، متأثرا بالنظريات المشرقية في علوم

---

[1] النجار، مرجع سابق، ص 69.

[2] ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 46.

[3] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 654.

[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص ص، 301- 302.

[5] طارق بن زاوي، **مظاهر الزندقة في المغرب و الأندلس و آثارها السياسية من القرن 1هـ إلى القرن7هـ**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، 2018، ص 130.

[6] البيذق، مصدر سابق، ص 11.

الكلام، و الأصول و السنّة، و بهذه الرحلة يكون قد استوفى مرحلة التحصيل العلمي، و لقد وصفه ابن خلدون بقوله: "**عاد من المشرق بحرا متفجرا من العلم و شِهابا واربا من الدين**"[1].

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 30.

الفصل الثّاني:

دراسة مقارنة بين المصادر المشرقية ونظيرتها المغربية لأهم القضايا والآراء حول شخصية ابن تومرت

1-قضية النسب لآل البيت.

2-قضية التقائه بالإمام الغزالي.

3-قضية المهدية و العصمة.

4-قضية العقيدة المُرشدة.

5-الثورة ضد المرابطين

1-قضية النسب لآل البيت:

أ- في المصادر المشرقية:

جاء في كتاب سير أعلام النبلاء **للذهبي** بأن النسب العلوي لابن تومرت هو مجرد ادّعاء، شأنه شأن العصمة، التي أراد إيهام الناس تفرده بها، حيث قال عنه: "**بأنه هو المدعي أنّه علوي حسني وأنه الإمام المعصوم و بأنّ نسبه ينتهي عند الإمام علي بن أبي طالب**".[1]

و يشير **ابن الأثير** في هذا الشأن، في كتابه الكامل في التاريخ إلى نسب ابن تومرت العلوي عندما يقول: "**في هذه السنه كان ابتداء أمر المهدي ابن عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي الحسني وقبيلته من المصامدة**".[2]

و بتتبع الأخبار التي نقلها ابن الاثير عن ابن تومرت نجد أنه نقلها مصادر مغربية، و من ضمنها أصل النسب العلوي له، و هو ما صرح به بنفسه، في سياق الحديث عن حادثة اجتماع ابن تومرت بالإمام الغزالي، و التي قال عنها: "**أنّ هذا قول بعض مؤرخي المغرب**".[3]

و بالانتقال إلى كتاب وفيات الأعيان لصاحبه **ابن خلّكان**، نجد أنه اعتمد النسب العلوي نقلا عن مصادر أخرى يرجّح أنها مغربية، حيث يقول: وجدت على ظهر كتاب النسب للشريف العابد بخط أهل الادب من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور **فنقلته كما وجدته**، و هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص ص، 539-540.

[2] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 654.

[3] ابن الأثير، نفس المصدر و الصفحة.

يحيى بن عطاء بن رياح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما و الله اعلم.[1]

أما **ابن كثير** و في كتابه البداية و النهاية فلم نجد أي اشارة تدل على النسب العلوي لابن تومرت داخل متن الكتاب، فقط هناك توضيح من المحقق يشير فيه إلى هذا النسب، بل بالعكس من ذلك فإنّ ابن كثير يشكك في توجّهات الرجل و معتقداته و ذلك عندما يقول و قد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلدا في أحكامه و إمامته، و ما كان في أيامه و كيف تملّك بلاد المغرب، و ما كان يتعاطاه من الأشياء التي توهم أنها أحوال برّة، و هي محالات لا تصدر إلا عن فاجر، و ما قتل من الناس و أزهق من الأنفس.[2]

و في كتاب الوافي بالوفيات **للصفدي**[3] لم نجد أي إشارة للنسب العلوي لابن تومرت، فكل ما ذكره المؤلف هو نسبه المصمودي الهرغي، و أنه الملقب بالمهدي و هو صاحب السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب.[4]

و من المفارقات التي ذكرها المؤرخ أنّ ابن تومرت أقرّ النسب الشريف المتصل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لصاحبه عبد المؤمن بن علي، و لم يقره لنفسه، حيث أورد الصفدي في كتابه هذا، أنّ تومرت كان قد وقع بكتاب في صفة عبد المؤمن وهو رجل يظهر بالمغرب الاقصى

---

[1] ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص ص، 45-46.

[2] ابن كثير، **البداية و النهاية**، تح : علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، ج12، ص ص، 231-232.

[3] **الصفدي**: (696-794هـ/1296-1363م)، خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب و مؤرخ كثير التصانيف الممتعة، ولد في صفد بفلسطين، و إليها نسبته، و تعلم في دمشق، تولى ديوان الانشاء في صفد و مصر و حلب، من أشهر مؤلفاته كتاب الوافي بالوفيات.(خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15،2002، ج2، ص 315.).

[4] صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000، ج3، ص 261.

من ذرية النبي صلى الله عليه و سلم، يدعو إلى الله، يكون مقامه، و مدفنه بموضع من المغرب يسمى **تينمل** ، و يجاوز وقته المائة الخامسة، فألقي في ذهنه أنه هو، فلما رآه قال له: ما اسمك قال: عبد المؤمن فقال: الله اكبر أنت بغيتي فأين مقصدك قال: الشرق لطلب العلم.[1]

و لم يشذ **ابن العماد الحنبلي**[2] عن معظم سابقيه من مؤرخي المشرق، عندما يتناول سيرة ابن تومرت، و ذلك عندما يصفه هو الآخر بأنه رجل متهور، مفتونٌ بحب الرئاسة، و هو ما حمله على الادعاء بأنه علوي حسني، و أنه المهدي، جرّه إقدامه و حبّ الظهور إلى ارتكاب المحظور، و دعوى الكذب، و الزور، من أنه حسني، و هو هرغي بربري و أنه إمام معصوم.[3]و بالبحث في كتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لصاحبه **سبط ابن الجوزي**[4]، نجد أن هذا الاخير قد ذكر مزاعم ابن تومرت حول نسبه الشريف لآل البيت، حيث قال: و في أيام علي، أي علي ابن يوسف ابن تاشفين، ظهر محمد بن تومرت المصمودي، و يلقب بالمهدي و كان يزعم أنه من سلالة الحسن بن علي رضي الله عنهما، إلى أن يقول: و سمّى أصحابه الموحدين، و بايعوه على أنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم.[5]

---

[1] الصفدي، المصدر السابق، ج3، ص، 261.

[2] **ابن العماد الحنبلي** :(1032–1089 هـ/ 1623– 1679 م): عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، مؤرخ و فقيه عالم بالأدب، ولد في دمشق، و أقام في القاهرة مدة طويلة، مات بمكة حاجا، من أشهر تصانيفه: كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب.(الزركلي، المرجع السابق، ج3،ص 22.).

[3] ابن العماد الحنبلي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1986، ج6، ص 117.

[4] **سبط ابن الجوزي**:(ت 654 هـ): يوسف بن قزأ و علي، أو قزعلي، ابن عبد الله، أبو المظفر شمس الدين سبط أبي الفرج ابن الجوزي، مؤرخ من الكتاب الوعاظ ولد و نشأ ببغداد و انتقل إلى دمشق، و استوطن بها و توفي فيها، من أشهر كتبه: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان.(الزركلي، نفسه، ج8، ص 246.).

[5] سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، دار الرسالة العامية، دمشق، ط 1، 2013،ج20، ص 18.

و يصف **المقريزي**[1] ابن تومرت في كتابه المواعظ و الاعتبار، بأنه أحد رجالات المغرب، و أنه ألّف عقيدة ألزم انصاره باتباعها، و سمّاهم الموحدين، و لذلك صارت دولتهم تستبيح دماء من خالف عقيدته، إذْ هو عندهم الإمام المعلوم، و المهدي المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق، لا يحصيها إلاّ الله.[2]

و المقريزي هنا وبالرغم من كونه من المؤرخين المشارقة المتأخرين نوعا ما، إلاّ أنه لم يتطرق إلى النسب العلوي لابن تومرت، بل نقل فقط ما كان يعتقده أتباعه من العصمة والمهدية.[3]

يعتبر **ابن الوردي**[4] من المؤرخين المشارقة القلائل، الذين ذكروا النسب العلوي لابن تومرت، و لكن دون الخوض في صحته من عدمه، حيث قال بشأنه: "كان محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي الحسني، من المصامدة من جبل السوس بالمغرب".[5]

و لكنه يتهمه بادّعاء المهدية في موضع آخر عندما يقول: "و ادّعى أنه المهدي الذي وعد النبي صلى الله عليه وسلم بخروجه"، و يذكر أن إدريس بن يعقوب المنصور حارب أنصار

---

[1] **المقريزي**: (ت 845 هـ): تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، و نسبته إلى حارة المقارزة، ولد و نشأ و مات بالقاهرة، و ولي فيها الحسبة و الخطابة و الإمامة.(الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص 177.).

[2] تقي الدين المقريزي: **المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط و الآثار**، تح: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، ط 1، 2002، ج4، ص 441.

[3] نفسه، نفس الجزء و الصفحة.

[4] **ابن الوردي** : (ت 749 هـ): زين الدين ابن الوردي المعري الكندي، شاعر، أديب، و مؤرخ، ولد في معرة النعمان بسورية، ولي القضاء و توفي بحلب، من مؤلفاته: تاريخ ابن الوردي، و له مؤلفات عديدة في الأدب و الشعر.(الزركلي، مرجع سابق، ج5، ص 67.

[5] ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996، ج2، ص 25.

المهدي ابن تومرت، و عمل رسالة طويلة، أفصح فيها بتكذيب مهديهم و ظلاله، و أسقط اسمه من على المنابر.[1]

و كخلاصة لهذا المبحث الخاص بقضية النسب العلوي لابن تومرت في المصادر المشرقية الرئيسية، يتبين اتفاقها في أغلبها حول عدم صحة هذا النسب، كالذهبي، وابن الأثير، و ابن كثير، فيما تحاشى البعض منهم ذكر هذا النسب، أو الاشارة إليه، كالصفدي، فهؤلاء يرون أن قضية المهدية هي التي أدت إلى انتحال هذا النسب، اثباتا لها، و جلبا للاقتناع بها حيث لا تكون إلاّ قرينة لنسب نبوي، و يرجعون سبب اشتهاره و انتشاره إلى أن المؤرخين من أولياء الموحدين، و كتّاب دولتهم، بذلوا الجهد في تأييده و نشره و الترويج له.[2]

ب/ قضية النسب لآل البيت في المصادر المغربية:

تُعد قضية إثبات النسب لابن تومرت من المسائل الشائكة والتي أثارت الكثير من التساؤلات بين النفي والإثبات في المصادر التاريخية عموما ، غير أن المصادر المغربية في مجملها ذكرت ارتباط نسب ابن تومرت بالنسب الشريف ولم تنف ذلك واختلفت في تقديم وتأخير بعض الأسماء.

اتفقت المصادر المغربية على أن نسب ابن تومرت إلى آل البيت ومنهم نذكر البيذق وابن القطان ولسان الدين الخطيب وصاحب الحلل الموشية، فيما تردد البعض في إثبات النسب كابن خلدون والزركشي، ونلاحظ ممن اثبت نسبه اختلافا في سلسله الأسماء أو بعض أسماء السلسلة على الأقل نذكر المواضع التي ورد فيها ما يلي :

[1] نفسه، ج2، ص 146.

[2] النجار، مرجع سابق، ص 25.

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان ابن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن ياسين بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب.[1]

محمد بن تومرت بن نيطاوس بن ساولا بن سفيون بن الكليدس بن خالد.[2]

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان ابن صفوان بن جابر بن يحيى ابن رباح ابن عطاء بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن ابن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3]

محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل بن حمزه بن عيسى بن عبيد الله بن ادريس ابن ادريس ابن عبد الله بن حسن بن علي بن ابي طالب.[4]

محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل بن حمزه ابن عيسى ابن عبيد الله بن إدريس بن ادريس ابن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن فاطمه بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.[5]

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب.[6]

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان ابن سفيان ابن صفوان ابن

[1] مجهول، الحلل الموشية، مصدر سابق، ص103

[2] ابن خلدون، العبر مصدر السابق ،ص103

[3] عبد الواحد المراكشي، مصدر السابق، ص136

[4] ابن القطان ، مصدر السابق،ص88

[5] البيذق، مصدر سابق ص13.

[6] مجهول، الحلل الموشية ، مصدر السابق، ص103

جابر بن عطاء ابن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب.[1]

ويذكر عبد الواحد المراكشي أن محمد بن تومرت من أهل سوس مولده بضيعة منها تعرف ب إيجلي أن وارغن وهو من قبيلة تسمى هرغة من قوم يعرفون بسرغين وأن له نسب متصل بالحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب. [2]

وقد أورد ابن خلدون ذكر نسب بن تومرت و هو غيرُ متأكد من صحته نتيجة لاختلاف المؤرخين غير انه ذكر نسبه العربي ، فيقول "...زعم كثير من المؤرخين أن نسبه من أهل البيت...".[3]

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح اختلاف في بعض أسماء سلسلة النسب، يتضح أن هناك تياران، تيار نسب ابن تومرت إلى نسبه العربي الشريف وتيار أرجع الى أصله البربري واتصاله بالنسب الشريف. التيار الذي ربط نسب ابن تومرت العربي الشريف قاده كل من البيذق وبن القطان وصاحب الحلل الموشيه وابن زرع والزركشي، بينما يربط ابن خلدون وعبد الواحد المراكشي الأصل البربري وتحفظوا عن نسبه العربي الشريف واكتفوا بقولهم زعم المؤرخون[4]

إننا نجد من خلال ما سبق أنّ نسبه عربي محض، و هي متضاربة مع نسبتين بربريتين مختلفتين في المبدأ، عربيتين في المنتهى، مع وجود كثير من الاختلاف بين الاسماء ففي التقديم والتأخير بين بعض الأسماك أو زيادات نجدها في سلسله معينه بينما هي غائبه في

[1] الزركشي، مصدر السابق، ص3 ، و ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، مصدر سابق ،ص 172

[2] عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق،ص245.

[3] ابن خلدون، العبر مصدر السابق ،ص103

[4] إسماعيل بن عبد الله، **قراءة في مسالك التغيير عند محمد بن تومرت، مجلة العبر للدراسات التاريخية** ، العدد1 جانفي 2024 ،جامعة تلمسان ،ص95

سلسله أخرى اضافه إلى إنكار البيذق للنسب العربي له، و هذا الاضطراب يكفي وحده لاستحالة الحكم على ثبوت نسب ابن تومرت الى آل البيت فكيف اذا ضممنا اليه تأكيدات أخرى نجزم من خلال ان هذا النسب من وضعه هو حتى يوافق دعوى المهدي الإمام المعصوم.[1]

2-قضية التقائه بالإمام الغزالي:

أ- في المصادر المشرقية:

يذكر الذهبي أنّ ابن تومرت قد التقى بكوكبة من العلماء أثناء رحلته المشرقية، و من بينهم الإمام **أبو حامد الغزالي**[2]، حيث قال: " رحل من السوس الأقصى شابّاً إلى المشرق، فحج و تفقّه، و حصّل طرفا من العلم، أخذ عن إلكيا الهراسي[3]، و أبي حامد الغزالي، و أبي بكر الطرطوشي[4]، و جاور سنة، و كان لهجا بالكلام خائضا في مزال الأقدام، ألّف عقيدة لقّبها المرشدة."[5]

---

[1] نفسه، ،ص 95

[2] **أبو حامد الغزالي:** الشيخ الإمام البحر، حُجّة الإسلام، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، ولد سنة 450 هـ / 1058 م، تفقّه في بلده أولا، ثم سار إلى نيسابور، بين سنتي 484 هـ / 1091 م و 488 هـ / 1094 م، ثم تركها، من أهم كتبه إحياء علوم الدين و هو أشهرها ، و كتاب تهافت الفلاسفة و المنقذ من الضلال، توفي يوم الاثنين 14 جمادى الآخرة 505 هـ / 17 ديسمبر 1111 م و دفن بطوس (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص 322 و ما بعدها).

[3] **إلكيا الهراسي:** علي بن محمد علي الطبري، أبو الحسن الملقّب بإلكيا الهراسي، فقيه شافعي، أصولي متكلم، من أهل طبرستان، سكن ببغداد و درّس بالمدرسة النظامية، وهو من شيوخ الغزالي، توفي ببغداد سنة 504 هـ (الزركلي، الأعلام، ج4، ص 263.).

[4] **أبو بكر الطرطوشي:** محمد بن الوليد بن محمد الفهري أبو بكر الطرطوشي، فقيه مالكي من أهل طرطوشة بالأندلس، رحل إلى المشرق و أقام بالإسكندرية، و كان من الزهّاد، له تصانيف كثيرة، منها: سراج الملوك، توفي بالإسكندرية سنة 520 هـ.(الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص 55.)

[5] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص 540.

و في موضع آخر من كتاب سير الأعلام، يورد نصا لعبد المؤمن بن علي يقول فيه: " سمعت أبا عبد الله بن تومرت يقول: أبو حامد الغزالي قرع الباب و فتح لنا.".[1]

و هذا القول الذي نقله الذهبي، يدل دلالة واضحة على تواجد ابن تومرت بمجلس الشيخ أبو حامد الغزالي، سواء أخذ عنه أو لم يأخذ.[2]

أمّا ابن الأثير فقد نفى حدوث هذا اللقاء، حيث قال: " هذا قول بعض مؤرخي المغرب، و الصحيح أنّه لم يجتمع به، فحج من هناك، و عاد إلى المغرب".[3]

و بالنسبة لابن خلّكان فإنه يذكر أمر اللقاء، ولكنه ينسبه لمصدر مغربي، هو تاريخ القيروان، فيقول: " هكذا وجدته في تاريخ القيروان".[4]

و يذكر ابن كثير أمر اللقاء، حيث وصف ابن تومرت برجل العلم، و أنّه سكن بالنظامية ببغداد، فحصل جانبا جيدا من الفروع و الأصول على الغزالي و غيره.[5]

كما يقرّ الصفدي بحدوث اللقاء، و أنّ ابن تومرت كان ورعا ناسكا، مهيبا، متقشفاً.[6]

و لا يخرج عن هذا الرأي ابن العماد الحنبلي بقوله: " و لقي الغزالي و طائفة، و حصل فنونا من العلم و الأصول و الكلام".[7]

---

[1] نفسه، ج19، ص 336.

[2] النجار، مرجع سابق، ص 74.

[3] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 654.

[4] ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 46.

[5] ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص 230.

[6] الصفدي، مصدر سابق، ج3، ص 261.

[7] ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص 117

و أخبر المقريزي بأن ابن تومرت توجّه إلى العراق و أخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري.[1]

و لا يختلف الأمر عند ابن الوردي عندما يقول: "و اجتمع بالغزالي و إلكيا و بالطرطوشي، ثم حج و عاد إلى المغرب".[2]

إنّ واقعة اللقاء هي أسطورة، نُسجت كما نُسجت نسبة ابن تومرت إلى آل البيت[3]، لتغدو هالةً تحيط بشخصيته و سيرته، و قد اختير الإمام الغزالي بالذات لبطولتها، لتبوّئه يومئذ أسمى مكانة من العلم و الدّين و الورع في العالم الاسلامي، و لشهرته الذائعة في المغرب، و لصِلاته المعروفة بالمرابطين[4].

كما أنّه لا توجد معلومات مؤكدة عن المشايخ الذين درس على أيديهم و إن وجدت فهي شحيحة، مما يجعلنا نلجأ إلى الاستنتاج، محاولين تبيّن نوع العلوم التي تقّاها و النسق الفكري الذي أفاده من مشايخه عن طريق الاشارات القليلة التي وردت في هذا الأمر.[5]

و الكتاب الذي ورد فيه اسم ابن تومرت، و فرضية اللقاء، هو كتاب" سرّ العالمين"، كتاب مشكوك في نسبته للغزالي، و ذهب الكثير من الباحثين إلى أنّه منحول عنه.[6]

ب/ في المصادر المغربية:

[1] المقريزي، مصدر سابق، ج4، ص 440.

[2] ابن الوردي، مصدر سابق، ج6، ص 26.

[3] محمد عبد الله عنان، **دولة الاسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، ج3، ص 204.

[4] نفسه، ج3، ص 162.

[5] النجار، مرجع سابق، ص 73.

[6] نفسه، ص 75.

تُعد قضية لقاء بن تومرت بالإمام الغزالي من المسائل التي أثارت جدلا واسعا لدى المؤرخين المغاربة، كون هذه القضية مهمة في بناء شخصية ابن تومرت وحياته العلمية، واذا تتبعنا ذكر هذا اللقاء في المصادر المغربية ،نجذ بعض المؤرخين ممن يؤكد حدوث اللقاء بينما نجد من شكك في حدوثه.

ذكر صاحب الحلل الموشية نقلا عن صاحب الصلاة "...عن عبد الله العراقي ، شيخ حسن من سكان فاس قال : كنت في بغداد بمدرسة الشيخ الإمام الغزالي ، فجاءه رجل كث اللحية على رأسه كرزية صوف، فسلم عليه ،فقال ممن الرجل فقال : من أهل المغرب ، وسأله عن قرطبة و فقاءها وعن كتابه فصمت الرجل حياء ، فعزم عليه ليقولن فأطرق رأسه وأخبره بأمر الإحراق فقال تغير ومد يديه لدعاء والطلبة يؤمنون عليه فقال " مزق الله ملكهم كما مزقوه واذهب دولتهم كما أحرقوه..."[1]

وكان من بين الحضور محمد بن تومرت فرجاه في الدعاء وقال له "...أيها الإمام ادع الله أن يجعل ذلك على يدي ..." فدعا له ، فعزم ابن تومرت الترحال إلى المغرب وكله عزم باستجابة دعوة الغزالي [2]

ويذكر صاحب الاستقصاء بقوله "... وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده، ولقي أبا حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره في ذلك فأراده عليه..."[3]

---

[1] مجهول ، الحلل الموشية ، مصدر سابق ، ص85

[2] نفسه ، ص:85

[3] الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ج2،تح: جعفر الناصي ومحمد الناصري، دار الكتاب ،الدار البيضاء المغرب1418هـ/1997م ،ص78

و يذكر ابن زرع في ذكر الشيوخ الذين تتلمذ على يدهم محمد بن تومرت، بقوله:"...وكان من جملة فيمن لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الإمام الأوحد أبو حامد الغزالي رضي الله عنه ورحمه ، لازمه لاقتباس العلم منه ثلاث سنين..."[1] ،من خلال الرواية يؤكد بن زرع حدوث اللقاء.

فيما شكك صاحب المعجب في حدوث اللقاء فيقول"... وقيل أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده فالله أعلم...."[2]

لم يجزم بن خلدون بصحة لقاء بن تومرت بالإمام الغزالي بقوله "... فيما زعموا أنّه لقي أبا حامد الغزالي..."[3]

3-قضيّة المهديّة والعصمة:

أ- في المصادر المشرقية:

أوّلا: المهدية عند ابن تومرت:

تُعتبر المهدية ركنا أساسيا في الإمامة عند ابن تومرت، فلقد ربطها بشخصه دون سواه، و أعطى لذلك اشارات من أجل تهيئة النّفوس لتقبّلها.[4]

و قد عبّر الذهبي عن ذلك عندما ذكر نزول ابن تومرت بتينملل، و أخذ يدعوهم إلى الأمر بالمعروف، و استمالهم و أخذ يشوّقُ للمهدي، و يروي أحاديث فيه، فلما توثّق منهم قال: أنا هو، و أنا عبد الله، و ساق نسبا إلى علي، فبايعوه، و ألقى لهم كتاب" أعزّ ما يُطلب.[1]

[1] ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ، مصدر سابق ،ص 172

[2] المراكشي ، المعجب ،ص 155

[3] ابن خلدون ، العبر .ج6 ، مصدر سابق ص301

[4] النجار، مرجع سابق، ص 239.

و يقول **ابن تيمية**[2] في شأنه أنّ ابن تومرت ممّن ادّعى المهدية، و أنّه الإمام المعصوم و المهدي المعلوم الذي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما، و هذا ادّعى أنّه من ولد الحسين، و كانت له خبرة بالحديث[3]، ما ادّعى به من تطابق الحديث.[4]

لقد وضع ابن تومرت عقيدة لقفها عنه عامتهم، و سمّى أنصاره بالموحدين، فلذلك صارت دولتهم ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذْ هو عندهم الإمام المعلوم و المهدي المعصوم.[5]

قام المصامدة بنصرته بعد ادّعائه المهدية ، و أسقط الأدارسة اسمه من على المنابر فيما بعد.[6]

و يذكره ابن الأثير بلقبه المهدي عندما يقول: "و في هذه السّنة كان ابتداء أمر المهدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت.".[1]

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص 548.

[2] **ابن تيمية:** (661-728هـ/1263-1328م): أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحرّاني الدمشقي الحنبلي تقي الدين ابن تيمية، شيخ الاسلام، ولد في حران و تحول به أبوه إلى دمشق فنبغ و اشتهر، و طُلب في مصر من فتوى أفتى بها، فقصدها فتعصّب عليه جماعة من أهلها، فسجن مدّة، و نقل إلى الاسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712هـ، و اعتقل بها سنة 720هـ، و أطلق ثم أعيد، و مات رحمه الله معتقلا بقلعة دمشق، وخرجت دمشق كلّها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية اصلاح في الدين، آية في التفسير و الأصول، ترك ارثا غزيرا، من مؤلفاته: الجوامع، السياسة الشرعية، الفتاوي، و منهاج اسنة النبوية.(الزركلي، مصدر سابق، ج1، ص 143 و ما بعدها.).

[3] أحاديث المهدي معروفة رواها الإمام أحمد و أبو داود و الترمذي و غيرهم، كحديث عبد اله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه و سلم أنّه قال: ((**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجُلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، و اسم أبيه اسم أبي، يملأُ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا**))(ابن تيمية، **منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشّيعة القدريّة**، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1986، ج4، ص 95.).

[4] ابن تيمية، نفسه، ص ص، 258-259.

[5] المقريزي، مصدر سابق، ج4، ص 441.

[6] ابن الوردي، مصدر سابق. ج1، ص 83.

و يصفه ابن خلّكان بأنّه المنعوت بالمهدي الهرغي، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب.[2]

و هو المدّعي أنّه حسني علوي، و أنّه المهدي، جرّه حبّ الرئاسة و الظهور إلى ارتكاب المحظور، و دعوى الكذب و الزّور من أنّه إمام معصوم.[3]

ينقلُ الصّفدي أبياتا من الشعر لابن تومرت أنشدها في صعيد مصر بعد أن سمع من يسبُّ الصحابة رضوان الله عنهم، ملمّحا فيها إلى كونه المهدي المعلوم يقول فيها:[4]

ذرني و أشياءُ في نفسي مُخبّأةٌ ... لألبسنّ لها دِرْعاً و جِلباباً

و الله لو كفّي ببغيتها ... ما كنتُ عن ضرب أعناق الورى آبي

حتّى أُطهّر هذا الدّين من نجس... و أُوجبُ الحقّ للسادات ايجابا

و أملأُ الأرضَ عدلا بعدما مُلئت... جُورا و أفتحُ للخيرات أبوابا

التحق ابن تومرت بالسوس في سنة أربع عشرة و خمسمائة، عندما تمّت مطاردته من قبل جنود يوسف ابن تاشفين، فاجتمع بأهله من المصامدة، و تسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا إليه، و حضر أعيانهم بين يديه و جعل يعظهم و يذكّرهم بأيّام الله و بشرائع الإسلام، و ما حدث من الظلم و الفساد، و أنّه يجب الخروج على هذه الدولة الظالمة، فأقام على ذلك سنة، وتابعته قبيلته هرغة، و أعلمهم أنّ النبيّ صلى اله عليه و سلم بشّر بالمهدي، الذي يملأ الأرض عدلا

[1] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 654.

[2] ابن خلّكان، مصدر سابق، ج5، ص 45.

[3] ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق. ج6، ص 117.

[4] الصفدي: مصدر سابق، ج9، ص ص، 261-262.

و أنه سيخرج من المغرب الأقصى، فقام إليه عشرة رجال أحدهم عبد المؤمن بن علي فقالوا له: لا يوجد هذا إلاّ فيك فأنت المهدي، فبايعوه على ذلك.[1]

بعد أن عظم شأنه بين أتباعه و بعد ادّعائه المهدية أخذ يدعو إلى قتال يوسف بن تاشفين.[2]

اعتمد ابن تومرت للترويج لفكرة الإمامة و المهدية على أحاديث موضوعة، استند عيها من أجل حمل أتباعه على طاعته، و تكفير كل من يشك في أمر المهدي و غيرها.[3]

ثانيا: العصمة عند ابن تومرت:

العِصْمَةُ في اللغة من معانيها: القِلادةُ، و الجمع عِصَم و أعصام، وأصل العِصمة الحبل، و كل ما أمسك شيئا فقد عَصمه، تقول: إذا كفرتَ فقد زالت العِصمةُ.[4]

و تكونُ العصمة فقط للأنبياء، فهم معصومون في تبليغ الرسالة و لا يجوزُ أن يستقرّ في شيء من الشريعة خطأ باتّفاق المسلمين، و كل ما يبلغونه عن الله عز و جلّ، من الأمر و النهي يجب طاعتهم فيه باتفاق المسلمين، و ما أخبروا به و جب تصديقهم فيه بإجماع المسلمين، و ما أمروهم به ونهوهم عنه وجب طاعتهم فيه، عند جميع فرق الأُمّة إلاّ عند طائفة من الخوارج يقولون أنّ النبي صلى الله عليه وسلم معصوم فيما يُبلّغه عن الله، لا فيما يأمرُ هو به و ينهى عنه و هؤلاء ضلال باتّفاق أهل السنّة و الجماعة.[5]

[1] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 656.

[2] ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص 231.

[3] محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ج3، ص 199.

[4] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1444هـ، ج12، ص 405.

[5] ابن تيمية، المصدر السابق، ج3، ص372.

و بالجملة فليس في المسلمين من يقول أنّه يجب طاعة الرسول مع جواز أن يكون أمره خطأ بل هم متفقون على أن الأمر الذي يجب طاعته فيه لا يكون إلّا صواباً.[1]

و أمّا عِصْمةُ الأئمّة فلم يقل بها إلا كما قال الإمامية و الإسماعيلية.[2]

و بالنّسبة لابن تومرت فلقد حكم البربر بادّعاء العصمة و أقدم على الدماء اقدام الخوارج و وجد ما قدّم.[3]

و يذكر ابن تومرت عن نفسه أنّه نزل إليه مَلَك، و علّمهُ القرآن، و الموطّأ، و له بذلك ملائكة يشهدون به في بئر سمّاهُ، فلمّا اجتاز به و كان قد أرصد فيه رجالا، فلما سألهم عن ذلك و الناس حضور معه على ذلك البئر، شهدوا له بذلك، فأمر حينئذ بطمّ البئر عليهم فماتوا عن آخرهم و لهذا يُقال: من أعانَ ظالما سلّطهُ اللهُ عليه.[4]

اِدّعى ابن تومرت العصمةَ لنفسه و لما كان في سنة 17 جهّز عسكرا من المصامدة أكثرهم من أهل تينمل و السوس، فقال اقصدوا هؤلاء المارقين من المرابطين فادعوهم إلى إزالة البدع و الإقرار بالإمام المعصوم فإنْ أجابوكم و إلّا فقاتلوهم.[5]

ثم صارت دولة الموحّدين في بلاد المغرب تستبيح دماء كلّ من خالف عقيدة ابن تومرت إذْ هو عندهم الإمام المعلوم و المهدي المعصوم.[6]

---

[1] نفسه، ج3، ص 373.

[2] نفسه، ج3، ص 374.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص 552.

[4] ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص 231.

[5] ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص 119.

[6] المقريزي، مصدر سابق، ج4، ص 441.

اهتمّ ابن تومرت بتنظير مذهب التوحيد الذي ترتكز عليه قواعد دولته، و هو الأمر الذي انصرف إلى اعداده منذ أن استقرّ في بلاده في رباط هرغة، و الذي انتهى بإعلانه مهديا معصوما.[1]

و ما ذهب إليه من عصمة الإمام ليس إلّا تعبيرا عن الشروط التي اشترطها أهل السنّة و المعتزلة في الإمام، و لكنّه اكتسى صِبْغة الغلوّ، بفعل القسوة في الأحداث، التي أحاطت بابن تومرت في دعوته، و هو الشأن في كثير من أفكاره المتعلّقة بالإمامة خاصّةً.[2]

و من القصص المتواترة عنه، أنّه أخفى رجالا في قبور، و جاء في جماعة ليريهم آية، فصاح: أيّها الموتى أجيبوا، فأجابوه: أنت امهدي المعصوم، و أنت، و أنت، ثمّ أنّه خاف من انتشار الحيلة فخسف من فوقه القبور فماتوا.[3]

إنّ قضية العصمة خطيرة في طرحها بوصفها قضية عقدية مرتبطة بالنبوّة، فهي مسألة طارئة، و البحث في حقيقتها موضوع كلامي مُتَكَلَّف في محاولة التوفيق بين عصمة النبي التي تقتضيها وظيفته و بشريّته و كونه مُكَلَّفا.[4]

و المعصوم ليس لأحد أن يخالفه، و ليس له أن يخالف معصوما آخر، إلّا أنْ يكونا عل شريعتين كالرسولين، و المقصود أنّ من ادّعى عصمة هؤلاء السادة المشهود لهم بالإيمان و التقوى و الجنّة، هو في غاية الضلال و الجهالة.[1]

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 1، 2000، ج5، 227.

[2] النجار، مرجع سابق، ص 250.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص 551.

[4] راجح عبد الحميد سعيد، **عصمة الأنبياء عند الأشاعرة في ضوء القرآن الكريم**، مجلة بحوث و دراسات إسلامية، الجامعة الأردنية، العدد 79، 2015، ص 39.

و ابن تومرت حينما أراد اثبات العصمة له، فهو لاعتقاده بوجوب توفر الإمام على شروط العلم و العدالة بوجه الكمال أو أقرب ما يكون للعصمة.[2]

و أصحاب ابن تومرت الذي ادّعى أنّه مهدي يقولون إنّه معصوم، و يقولون في خطبة الجمعة الإمام المعصوم، و المهدي المعلوم، و يُقالُ أنّهم قتلوا بعض من أنكر عصمته، و معلوم أنّ كلّ هذه الأقوال مخالفة لدين الإسلام، و للكتاب و السنّة، و إجماع سلف الأمّة، و أئمتّها، فإنّ الله تعالى يقول[3]: " **يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله و الرسول** "[4].

ب/ المهدية والعصمة في المصادر المغربية:

أولا : المهدية أو المهدوية:

فكرة المهدية أو المهدوية عند المسلمين، تقوم هذه الفكرة على الإيمان برجل منتظر يضرب نسبه لآل البيت، ويكون مخلصا للأمة من الظلم والطغيان، ويملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا، ويسمى المهدي لأن الله هداه فاهتدى. [5]

أقرّ ابن تومرت أنّ فكرة المهدية وظهور المهدي وبين الظروف التي يعيشها الناس في عهده وشخصه بالذات ويرجع المعنى الى الفساد الذي استفحل في عهده وذكر مظاهره يقول:"...

---

[1] ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1987، ج3، ص 491.

[2] النجار، مرجع سابق، ص 253.

[3] ابن تيمية، منهاج السنّة النبوية، مصدر سابق، ج6، ص 189.

[4] سورة النّساء، الآية 59.

[5] ابن تومرت، أعز ما يطلب، ص ص 250 -251.

الزمن كثر فيه الفساد و دلهمت فيه الظلمات، واشتبكت فيه الأباطيل ،وانعقدت فيه الجهالات، واختلطت فيه الحقائق وانعكست، و أخمدت فيه الأنوار واكتملت، واختبلت فيه الآراء و تمازجت، وتحكّمت فيه الحثالة حتى صار زخرف الدنيا دينا..."[1]

وهذا الواقع يراه ابن تومرت نتيجة حتمية لظهور المهدي المنقذ من الفساد وفي ذكر أوصافه يقول انه فرد في زمانه صادق في قوله وانما يملاها بالعدل كما ملئت بالجور وان أمره قائم الى أن لن تقوم الساعة [2]

عن ظهور المهدي يقول:" ... المهدي في زمان الغربة، ووعده الله قلب الأمور عن عاداتها و هدمها بهدم قواعدها، ونقلها إلى الحق بإذن الله ،حتى تنظم الأمور عن سنن المهدي، و تستقيم على منهاج التقوى وينهدم الباطل عن قواعده، ويظهر العلم في معادنه، ويشرق نوره في الدنيا بظهوره، حتى يملأها عدلا كما ملئت قبله ظلما وجورا، بوعد ربه كما وعد، وبفضله كما سبق...".[3]

لم يشر ابن تومرت في كتابته و رسائله ادعاء صريحا للمهدية، و لم يلّقب نفسه بالمهدي وإنما تلقب بألقاب أخرى فمن إحدى رسائله يقول "... من محمد بن عبد الله العربي القرشي

[1] نفسه ،ص 151.

[2] ابن تومرت، نفسه، ص 256.

[3] ابن تومرت ، مصدر سابق ،ص251

الهاشمي الحسني الفاطمي المحمدي..." [1]

لم يصرح بن تومرت بالمهدية لنفسه، و إنما اكتفى بالتلميح لها ، و أن أصحابه وأتباعه هم من رسخوا لفكرة المهدية، وجعلوها مناطا للفكر العقلي والنقلي.

إن إعلان المهدية والمبايعة لم يكن إلا في سنه 515 هـ، لما استقرّ بالسّوس ومن أقواله عن المهدي يقول" ... إن العلم به يصبح امرا واجبا والإيمان به يصبح حتما على كل إنسان...".[2]

"...إن العلم بالمهدي ثابت في كل مكان و في كل ديوان...". [3]

يقول المراكشي كان يبطن شيئا من التشيّع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء[4]

يقول ابن خلدون " ... ولم يحفظ عنه فلته من البدعة إلا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم..." .[5]

و يرى ابن أبي زرع أنّ المهدي مُتمرد ادعى بأنّه المهدي المنتظر المعصوم عن كل خطا.[6]

اختلفت المصادر في إعلان ابن تومرت وتلقبه بالمهدي فنجد بعض المصادر الموحدية،

---

[1] البيذق ، مصدر السابق، ص71

[2] ابن تومرت، مصدر سابق ،ص257

[3] نفسه، ص257

[4] المراكشي، مصدر سابق، ص188

[5] ابن خلدون العبر ،ج6 ، مصدر سابق، ص229

[6] ابن أبي زرع ، مصدر سابق ص 181.

ترى تلقب بالمهدي قبل التاريخ المذكور سابقا، حيث وقف ابن القطان على نسخة كتبها ابن تومرت بيده ينسب فيها هذا اللقب لنفسه، و ذلك عندما قال فيه "... بعد البسملة و الصلاة أقول و أنا محمد بن عبد الله بن تومرت، وأنا مهدي آخر الزمان.[1]

و تاريخ هذا الصك كان آخر شهر رمضان عام 511 هـ/ 1117 م، و هذا يعني أنه تلقب بالمهدي قبل أن يبايعوه، وقد شكك البعض في إدعاء بن تومرت أنه مهدي آخر الزمان، بدعوة أن هذا اللقب ملفق له ،و أنه لم يصرح به هو لنفسه، في مكاتباته ورسائله، والحق أن ذلك ثابت عنه ونسخة الصك هذا تفند كل شك. [2]

هناك اختلاف في تضارب نسخة الصك المؤرخ في 511 هـ مع تاريخ لقاء بن تومرت سنه 515 هـ ، و هو العام الذي بويع فيه بأنه المهدي، فيمكن توجيه ذلك بأن بن تومرت كان يبث هذا اللقب بين الاعيان والشخصيات المخلصة له سرا منذ بداية دعوته بالمغرب، لكنّه تحفظ عن إظهاره أمام العامة، الى غاية التأكد من إيمانهم بدعوته ووقوفهم بجانبه ضد المرابطين، وهي السنة التي اشتهر فيها أمره اي 515 هـ أو يمكن أنه قد بويع مرتين أو أكثر. [3] ولا يستبعد أن يكون ابن تومرت قد أطلق هذا اللقب لنفسه منذ أن التقى بعبد المؤمن بن علي ،عندما أخبره بمشروعه وطلب منه الإعانه عليه ومن المرجع انه ذلك كان مع نهايه 511 هـ أو بداية سنة 512هـ [4]

ب/ العصمة:

[1] ابن القطان ، مصدر سابق ،ص75.

[2] إسماعيل بن عبد الله ،مرجع سابق ،ص .89

[3] نفسه ص 89.

[4] نفسه ص 90.

العصمة فرع من الإمامة، لأنها صفه من صفات الإمام ، لم يثبت ابن تومرت للإمام العصمة على وجه الصراحة والقطع فهو يقول "...لا يكون الإمام إلا معصوما من الباطل ومعصوم من الضلال، ومعصوما من الفتن ،ومعصوما من العمل بالجهل..."[1].

لم يذكر بن تومرت في مؤلفاته شروحا لحقيقة العصمة، وبيان لعناصرها و إنما أثبتها للإمام دون شرح وتحديد يقول ابن تومرت "...الإمام مهمته أن يقاوم الباطل والظلم ،و ينشر الحق والعدل، والباطل والظلم لا يرتفعان إلا بالحق والعدل، ولذلك وجب أن يكون الإمام معصوما من الباطل والظلم حتى ينشر الحق والعدل..".[2]

تأصّلت فكرةُ العصمة لدى أتباع بن تومرت حتى أصبح يلقب بالمعصوم، و أصبح هذا اللقب ذائعا له حتى لدرجه أنهم كانوا يطلقونه عليه دون ذكر اسمه، بسبب اشتهاره ولعل هذا ما نجده جليا في كتاب أبي بكر الصنهاجي المكنّى البيذق، فلا يكاد يذكر ابن تومرت إلا بلقب المعصوم، يقول البيذق"... فلما أصبح سرا فكان الخليفة يتأخر ""و كان الامام المعصوم يقول له السر يا عبد المومن فقلت للمعصوم انه ممشوق فقال المعصوم يا عبد الواحد ركب أخاك وامشي ..."[3]

يرى صاحب المعجب أنّ ابن تومرت كان يبطن شيئا من التشيع في قوله"... كان يبطن شيئا من التشيع غير انه لم يظهر منه الى العامة شيء..." وعلى ما يبدو قد تلبس بمبدأ

[1] ابن تومرت، مصدر سابق ،ص 245.

[2] نفسه، ص ص 244-245.

[3] البيذق، مصدر سابق ،ص 18.

العصمة[1] وأيضا المراكشي وافقهم من ذلك حيث قال "...انه لم يكن يظهر منه للعامة شيء..."[2]

أورد بن القطان بابا بعنوان عصمة ابن تومرت، يذكر ابن القطان أنّ عصمة ابن تومرت هي كرامة من كراماته، خصّه الله بها ، بحيث ينقل أحد أشخاصها فتحقق جملتها ،و ذكر جملة من عصم ابن تومرت كعصمة أهل الإسكندرية حينما رأى منكرا فغيره و أغلظ في أمرها فقامت عليه العامة والغوغاء فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشي رحمه الله ولم ينله منه ولم ينله من بأسهم [3]

ومن عصمته أيضا ذكر ابن القطان منع أهل المركب من اغراقه وقد همّوا بذلك وما أظهره الله في ذلك من العبر حيث يروي أنه ركب البحر في سفينة من الإسكندرية يريد بلاد المغرب فرأى في المركب خمره فارقه فصاع عليه صاحب الخمر وسبه ووضع يده فيه فاجتمع أهل المركب إليه ورغبه حتى سكت ثم حضر وقت الصلاة وأمرهم بالصلاة فلم يلتفتوا إليه فشدد عليهم فغضبوا وهموا بالقائم فهاج عليهم البحر وكادوا يغرقونه فقام إليهم راجعون حاج فقال له

[1] المراكشي، مصدر سابق ص: 162

[2] ابن القطان ، مصدر سابق ، ص91.

[3] نفسه ، ص92.

تداركوا أنفسكم بإرضاء هذا الرجل لعل الله تعالى يفرج عنكم، فاقبلوا نحوه متضرعين راغبين فقال لهم: صلوا فتوضؤا، و صلوا فكشف الله تعالى ما بهم وجرت السفينة بريح طيبه [1].

2-قضيّة العقيدة المُرشِدة:

أ- في المصادر المشرقيّة:

ألّف ابن تومرت عقيدة لقّبها **بالمُرشدة**، فيها توحيدٌ و خيرٌ **بانحراف**، فحمل عليها أتباعه، و سمّاهم الموحّدين، و نبَز من خالف المرشدة بالتجسيم، و أباح دمه.[2]

و يذكرها ابن كثير بقوله: " عندما قويت شوكته، تسمّى بالمهدي، و سمّى جيشه جيش الموحّدين، و ألّف كتابا في التوحيد و عقيدة تسمّى المُرشدة".[3]

و المُرْشِدَةُ هي رسالة و جيزة لا تتجاوز صفحتين، و سُمّيت كذلك لأنّ افتتاحها كان بعبارة: " **اِعلمْ أرشدنا الله و إيّاك...**"، فصار هذا الافتتاح علما عليها، و قد أُطْلق عليها هذا الاسم في وقت متأخر من عهد المهدي و عهد عبد المؤمن.[4]

بعد وفاة ابن تومرت، تولّى عبد المؤمن بن علي خلافة الموحدين، و واصل الدعوة إلى اتباع عقيدة المهدي، و عاقب كل من خالفها.[5]

و كانت تُهمة ابن تومرت في اظهار العقيدة و الدعاء إليها، و كان أهل المغرب على طريقة السلف، يُنافرون الكلام و أهله، فدعاهم إلى متابعته، و صنّف لهم تصانيف مختصرات.[1]

---

[1] ابن القطان ، نظم الجمان ،مصدر سابق ص ص 91-92.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص 541.

[3] ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص 231.

[4] النجار، مرجع سابق، ص 448.

[5] المقريزي، مصدر سابق، ج4، ص 441.

و يُقصد بالمرشدة تنظيم المعاملات الدينية، بمعنى التطبيقات العمليّة في العقائد، فتظهر وثيقة الصّلة بالتوحيد.[2]

تتميّز العقيدة الإسلامية بمميزات فريدة تؤهّلها للبقاء و الثبات و مُغالبة التحريف و التشويه، ذلك التميز هو حفظ الله عزّ و جلّ للأصل الذي نستقي منه تلك العقيدة، و هو القرآنُ الكريمُ، قال تعالى: " **إنّا نحن نزّلنا الذّكرَ و إنّا له لَحافظُون** "[3]، و لهذا بقيت تلك العقيدة سليمة منيعة، لمْ يصلْ إليها كيد الكائدين، و لم يضرها تحريف المبطلين.[4] و ابن تومرت من الذين سعوا جاهدين في طلب السلطان انطلاقا من عقيدة المهدي المنتظر، استغلالا سياسيا واضحا، و استطاع بفضلها أن يصبح زعيما بارزا في قومه.[5]

و مما نُقل عنه أنّه قال: " إنّ الله أعطاني نورا أعرف به أهل الجنّة من أهل النّار".[6]

ألّف عقيدته في تينمل، بعد أن أطاعته هنتاتة و التي تعتبر من أقوى القبائل، فتوجه ابن تومرت و ألّف لهم كتابا في التوحيد و كتابا في العقيدة.[7] و منذ أن استقرّ في رباط هرغة و الذي انتهى بإعلانه مهديا معصوما، و في ذلك ألّفَ عملين هامين هما العقيدة و المرشدة، فالأولى نظريّة مجرّدة في الإلهيات، و الثانية ترتيب للأمور العملية لشؤون الحياة.[8]

---

[1] الذهبي، **العِبر في خير مَن عَبَر**، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص 423.

[2] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ص 211.

[3] سورة الحِجْر، الآية 9.

[4] طارق بن زاوي، مرجع سابق، ص 34.

[5] نفسه، ص 124.

[6] ابن الوردي، مصدر سابق، ج2، ص 26.

[7] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 656.

[8] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ص 205.

و يرى ابن تيمية أنّ ابن تومرت في كتابه التوحيد، صرّح بنفي الصفات، و لهذا لم يذكر في مرشدته شيئا من اثبات الصفات و لا إثبات الرؤية، و لا قال إنّ كلام الله غير مخلوق و نحو ذلك من المسائل التي جرت عادةُ مثبتي الصفات بذكرها، و ابن تومرت و أصحابه سلكوا طريق نفي الصفات و يُسمون ذلك توحيدا!.[1]

ب-في المصادر المغربية الموحدية:

يبتدأ ابن تومرت مرشدته بقوله:" اعلم أرشدنا الله و ايّاك أنّه وجب عل كل مكلّف أن يعلم أنّ الله عزّ و جلّ واحدٌ في مُلكه.." و هي رسالة في العقيدة من صفحتين.[2]

لقد عكف ابن تومرت على تأليف الكتب لأتباعه، الذين كان يلتقي بهم في المجالس العامة و الخاصّة، أين كان يّلقي أفكاره و آراءه، و المرشدة عقيدة خالية من البدعة، مما يدل على أّه لم يكن يعلن بآرائه السياسية للعموم، أو أنّ تأليفه لها سابق عن اعلانه بمذهبه هذا الجامع بين المهدويّة و الامامية.[3]

و عندما وصل إلى فاس أظهر ما كان يُظهره، و تحدث فيما كان يتحدث فيه من العلم، و كان جُلّ ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الأشعرية.[4]جاء في المرشدة أنّ الله تعالى خلق العالم

[1] ابن تيمية، **درء تعارض العقل و النقل**، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1991، ج3، ص 438.

[2] ابن تومرت، أعزّ ما يُطلب، مصدر سابق، ص 226.

[3] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، مرجع سابق، ص 102.

[4] المراكشي، المعجب، ص 159.

بأسره، العلوي و السفلي، و العرش و الكرسي، و السماوات و الأرض و ما فيهما و ما بينهما ، جميع الخلائق منقادون بقدرته.[1]

و من ذكاء ابن تومرت أنّه ألف لأتباعه عقيدة بلسانهم ، و كان أفصح أهل زمانه بذلك اللسان، فلمّا فهموا معاني تلك العقيدة زاد تعظيمهم له، و أشربت قلوبهم محبّته، و أجسامهم طاعته، فلمّا استوثق منهم دعاهم إلى القيام معه أولا على صورة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لا غير، و نهاهم عن سفك الدماء و لم يأذن لهم فيها.[2]

و جاء في نظم الجمان أنّ ابن تومرت أقام بجبل إيبجليز ثلاثة أعوام يدرس العلم، ويهاجر إليه، السعداء و يعلم المهاجرين و يخاطب القبائل، مسترشدا بالله تعالى.[3]

جاء المرشدة أن الله تعالى منزه عن التجسيم، ليس له قبل و لا بعد، ولا فوق و لا تحت ، لا يتخصص في الذهن، و لا يتمثل في العين، لا يتصور في الوهم و لا يتكيف في العقل..[4]

كانت المرشدة متداولة في مدينة فاس، يتناقلها العلماء بالرواية و يتداولونها بالشرح، كما كانت مقروءة بتلمسان، متداولة بها، و قد وضع عليها شرحا العالم الشهير محمد بن يوسف السنوسي(ت 895هـ/ 1489م) بطلب من بعض أهل تلمسان كما أفاد هو بنفسه.[5]

فعندما استفحلت دعوته و أضحت ذات قوة فعالة و استحكمت في وسط البربر الذين سحرتهم كلماته، و ما شهدوا به من غزارة علمه و قدرته على الإقناع مع قوة حجته مخاطبا إياهم باللغة

[1] ابن تومرت ، نفسه، نفس الصفحة.

[2] المراكشي، نفسه، ص 61.

[3] ابن القطان، نظم الجمان، مصدر سابق، ص 78.

[4] ابن تومرت، أعز ما يطلب، نفس الصفحة.

[5] النجار، مرجع سابق، ص ص، 451- 452.

العربية و البربرية فكان الإقبال منقطع النظير من قبل قبيلته مصمودة، فشرع لهم كتابا سماه المرشدة و فرض على أتباعه حفظه.[1]

و كان يدعوا أتباعه إلى التوحيد و تعلمه و اتباعه لأنه أصل الدين و به صلاح كل الأعمال.[2]

فبنى رابطة للعبادة اجتمعت إليه الطلبة و القبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري، و شاع أمره في صحبته.[3]

5-ثورتُه ضِدّ المُرابطين:

أ-في المصادر المشرقية:

هل كانت العقيدة المرشدة و كتاب التوحيد اللذان ألّفهما ابن تومرت لأتباعه، بمثابة الدستور لدولة يجري الإعداد لها في الخفاء و العلن؟، و هل كانت فكرة تأسيس الدولة تراوده قبل عودته من رحلته المشرقية؟، أم تبلورت هناك؟.

من الصّعب أن نتصوّر أنّ فكرة الثورة في أبعادها التنظيمية، كانت تخالج ابن تومرت لمّا غادر وطنه قاصدا المشرق طلبا للعلم، ذلك لأنّ شخصيته العلمية و الفكرية التي تنضج فيها هذه الفكرة القائمة على أساس ديني لم تكتمل في ذلك الوقت.[4]

[1] تيرس نوح، مرجع سابق، ص 488.

[2] البيذق، مصدر سابق، ص

[3] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص 303.

[4] النجار، مرجع سابق، ص 109.

و يرى ابن الأثير أنّ أوّل اعلان رسمي للثورة ضدّ المرابطين، كان في سنة 514هـ، و ذلك عندما تمّ طرده من مراكش من قبل يوسف ابن تاشفين، حيث سار إلى أغمات و لحق بالجبل فسار فيه، حتّى التحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة، فاجتمع حوله الناس، و وفد عليه أهل تلك النّواحي، و جعل يذكّرهم بأيّام الله، و يذكُر لهم شرائع الإسلام، و ما حدث من الظلم و الفساد، و أنّهُ لا يجب طاعة دولة من هذه الدّول، لاتّباعهم الباطل، بل الواجب قتالُهم.[1]

أمّا الذهبي فيتّهمه صراحة بخوضه في الدّماء من أجل السُّلطة بقوله: " دخل في الدّماء لنيل الرّيّاسة المُرْدِية".[2]

و ينقل لنا ابن خلّكان أحداث اللقاء الذي دار بين ابن تومرت و يوسف ابن تاشفين ، و ثُلّة من علماء البلد الذين انتدبهم ابن تاشفين لمحاورة المهدي و مناقشة أفكاره، فلمّا حضر هو و أصحابه، قال ابن تاشفين: سلوا هذا الرجل ما يبغي منّا، فبرز له قاضي المريّة، و اسمه محمّد بن أسود، فقال: ما هذا الّذي يُذْكَرُ عنك من الأقوال في حقّ الملك العادل الحليم المُنقاد إلى الحقّ؟، فقال له ابن تومرت: أمّا ما نُقل عنّي، فقد قلتُه، و لي من ورائه أقوال، و أمّا قولك: يؤثر طاعة الله تعالى على هواه، و ينقاد إلى الحقّ، لِيعْلَمَ بِتعرّيهِ عن هذه الصفة، لأنّه مغرور بما تقولون له و تضرُّونهُ به، مع علمكم أنّ الحُجّة عليهِ مُتوجّهة.[3]ثم أردف كلامه قائلا: هل بلغك يا قاضي أنّ الخمر تُباعُ جهرا، و الخنازيرُ تمشي بين المسلمين، و أموال اليتامى، تؤخذ، و عدّ من ذلك شيئا كثيرا، فلمّا سمعه الملكُ ذرفت عيناه، فلم يكلمه أحد منهم، فقال له: ابن وهيب أخاف عليك من هذا، و أرى اعتقاله مع أصحابه، و يُنْفقُ كل يوم عليهم دينار لتكفي

[1] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 656.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص 541.

[3] ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص ص، 49- 50.

شرّهُ.[1] و لكنّ وزيره عارض هذا الرأي و قال له: يقبُحُ عليك أن تبكي في موعظته، ثم تسيء إليه في مجلس واحد، و يظهر منك الخوف و هو فقير، فصرفه الملك و سأله الدّعاء.[2] و بالرغم من تأثر يوسف ابن تاشفين بموعظة ابن تومرت إلّا أنّه نفاه، و شرع هذا الأخير يشنع عليه، و يدعو النّاس إلى قتاله، فاتّبعه خلق كثير، فجهّز إليه الملك جيشا كثيفا، فهزمهم ابن تومرت فعظم شأنه و قويت شوكته.[3] و يبدو أن فكرة الثورة عند ابن تومرت، نبتت لديه منذ الشباب، متمثلة فيما كان يُضمرهُ من المآخذ عل الواقع المغربي، ولا زالت ينمّيها إيمانه العميق بمبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.[4]

و يؤكد الذهبي ذلك بقوله: " كانت لذّتهُ في الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر، و الجهاد، و لكن جرّه اقدامه و جرأته إلى حُبّ الرئاسة و الظهور إلى ارتكاب المحظور".[5] لمّا خرج من مجلس ابن تاشفين، لم يزل وجهه تلقاء وجهه، إلى أن فارقه، فقيل له: نراك قد تأدبت مع الملك، إذْ لم تولّه ظهرك، فقال: أردت ألّا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت.[6]

إنّ ابن تومرت لم يكتف بالتنظير فقط لقيام الدولة الموحدية، بل كان يدعو أيضا إلى الوحدة بين المسلمين، و إلى نشر عقيدة التوحيد، و ذلك بناء على ما شاهده في رحلته المشرقية، من الخروج على قواعد العدل، و انتهاجه لمبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في كل مكان

[1] الصفدي، مصدر سابق، ج3 ، ص 262.
[2] نفسه، ج3، ص 263.
[3] ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص 231.
[4] النجار، مرجع سابق، ص 112.
[5] الذهبي، العبر في خبر من عبر، مصدر سابق، ج2، ص 421.
[6] ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص 50.

حلّ به في طريق عودته، يدل على أنّه لم يكن يعترف بعصر الطوائف أو نظام الدويلات الذي كان سائدا وقتئذ، فهو كان يؤمن أيضا بالتوحيد الديني.[1]

و ليس من المستبعد أنّه يكون قد اكتسب و هو بالمشرق سعة الأفق السياسي، بما قد عايش من حكم الدولة الفاطمية التي كانت تمزّقها الخلافات المذهبية، و حكم الدولة العباسية، و هي تقترب من نهايتها، فتسوؤه حالة المسلمين، وينشأ في نفسه أمل بأن يكون من بين أولئك الذين يسهمون في عزّة الإسلام و المسلمين.[2]

كان لابن تومرت الدور الكبير، ليس في الإعداد للحرب، و التحريض عليها فقط بل بالمشاركة فيها أيضا.[3]

و لما دخلت سنة 517هـ، جهّز ابن تومرت جيشا من المصامدة، كان أكثرهم من أهل تينمل و السوس، و قال: اقصدوا هؤلاء المارقين من المرابطين، فادعوهم إلى إزالة البدع و الإقرار بالإمام المعصوم، فإن أجابوكم، و إلّا فقاتلوهم.[4]

و في سنة 524هـ، حدثت ملحمة كبرى بين جيش ابن تاشفين، و جيش الموحدين، فقتل منهم 13 ألفا، و قتل قائدهم عبد الله الونشريسي، فبلغ خبر الهزيمة لابن تومرت فحزن لذلك حزنا شديدا.[5]

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ص 268.

[2] النجار، مرجع سابق، ص 110.

[3] سعد زغلول عبد الحميد، نفسه، ص 246.

[4] ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص 119.

[5] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج36، ص 21.

أثناء الصراع مع المرابطين كان ابن تومرت قد رتّب أصحابه مراتب: أصحاب العشرة و هي الأولى، و يتقدمهم عبد المؤمن بن علي، و الثانية آيت خمسين، أي أهل خمسين، و هم من رؤساء القبائل، و الثالثة آيت سبعين و هم دون الثانية.[1]

و لمّا سيّر الجيش لحصار مراكش، فبلغه أمر الهزيمة و كان مريضا جدا، فأوصى بإسناد القيادة لعبد المؤمن، و قال: إنّ الأمر قائم، و هو الذي يفتح البلاد، و أمر أصحابه باتباعه، و الانقياد إليه، ثم مات و كان عمره احدى و خمسين و قيل خمسا و خمسين سنة.[2]

و قيل أنّه توفي سنة أربع و عشرين و خمسمائة، و دُفن في جبل تينمل، و قبره هناك مشهور يُزار، و هذه السنة تسمى عندهم عام البحيرة.[3]

ب-في المصادر المغربية الموحدية:

يذكر البيذق أنّ الأمر بدأ بمبايعة ابن تومرت مهديا معصوما، و تمّ ذلك فور وصوله إلى **تينمل** و كان صاحبه و رفيق دربه عبد المؤمن بن علي أوّل المبايعين.[4]

و بعد أن تم الأمر لابن تومرت باشر غزواته الواحدة تلو الأخرى و هو يحث أصحابه على التقدم و عدم الاستسلام ، و في الغزوة الثالثة أتاه كتاب من أمير الملثمين يدعوه إلى الهدنة و هو ما رفضه المهدي جملة و تفصيلا.[5]

[1] ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص 660.

[2] نفسه، نفس الجزء و الصفحة.

[3] ابن خلّكان، مصدر سابق، ج5، ص 53.

[4] البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت، مصدر سابق، ص 73.

[5] نفسه، ص ص 74- 75.

و أخذ يشحن همم أتباعه بخطب قوية مضمونها أنّه المهدي الذي جاء في زمن الغربة، زمن عُكست فيه الحقائق و بُدّلت فيه الأحكام و بأنّ الله تعالى اختصّه بما أودع فيه من معاني الهداية، ما يجعله على ملئها عدلا كما مُلئت قبله ظلما و جورا.[1]

و من شدّة تأثّرهم بخطب ابن تومرت و تحريضهم على محو الباطل من خلال قتال المرابطين؛ أطاعه المصامدة طاعة عمياء إلى درجة الافتتان و تعظيم شأنه، إلى درجة أنّه لو طَلب من أحدهم قتل أبيه أو أخيه لفعل ذلك دون تردد.[2] و لما كانت سنة 517هـ جهّز جيشا عظيما من المصامدة جُلّهم من أهل تينمل، مع ما انضاف لهم من أهل السوس، و قال لهم: "اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسمّوا بالمرابطين، فادعوهم إلى اماتة المنكر و الإقرار بالإمام المعصوم فإنْ أجابوكم فهم اخوانكم و إنْ لم يفعلوا فقاتلوهم، فقد أباحت لكم السنّة قتالهم.[3]

و يذكر ابن خلدون أنّ بداية الفتح و الانتصارات كانت عندما تمّ الإيقاع بعامل السوس أبو بكر بن محمد اللمتوني الذي جاءهم زاحفا إلى موقعهم في هنتاتة و تينمل، و كان الإمام يعدهم بذلك فاستبصروا في أمره و تسابق كافتهم إلى الدخول في دعوته.[4]

و يروي البيذق عن موقعة البحيرة على مشارف مدينة مراكش التي انهزموا فيها فيقول: " حللنا بالبحيرة ليلا و لم يبدأ القتال إلّا صباحا، فاقتتل الجيشان قتالا شديدا، و تفرّقا على وقع هزيمة

[1] ابن تومرت، أعز ما يطلب، مصدر سابق، ص 233.
[2] المراكشي، المعجب، مصدر سابق، ص 164.
[3] نفسه، ص 165.
[4] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص 304.

الموحدين، فقتل منهم من قتل و افترق الناس، و جاز الخليفة رفقة طلبته، و يقصد عبد المؤمن إلى أغمات، و هناك أسرعوا إلى المهدي في جبل تينمل".[1]

و عن سرّ تحصّن ابن تومرت بتينمل يقول ابن القطان: " و لا أعلم مدينة أحصن و لا أمنع منها، إذ أنّها بين جبلين لا يدخلها الفارس إلّا من شرقيها أو غربيها، فأما غربيها فطريق أوسع ما به ما يمشي عليه الفارس وحده، و أضيقه ما ينزل عن فرسه خوفا من سقوطه لأن الطريق مصنوعة في نفس الجبل.[2]

و بعد الهزيمة في البحيرة على أعتاب مراكش، و كان عدد القتلى كبير في صفوف المصامدة، رجع الناس إلى المهدي و كان متحصنا في جبل تينمل، فبادرهم بالسؤال عن عبد المؤمن بن علي، فقالوا: هو حي، فقال: إذن لم يمت أحد.[3]

و يخبر البيذق أنّ عبد المؤمن جُرح في فخذه الأيمن، فتأسف ابن تومرت لذلك و قال لا تنزعجوا فالأمر باق، فيقول: فأعلمته بما قاله المهدي في حقّه، ففرح فرحا شديدا.[4]

لم يتمكّن ابن تومرت من هزيمة المرابطين و دخول مراكش لأنه مات قبل ذلك، و تكفّل خليفته عبد المؤمن بمواصلة قتالهم، و يقول ابن خلدون في هذا الشأن: " لمّا هلك المهدي سنة522هـ، و قد بأمره من بعده لكبير صحابته عبد المؤمن بن علي الكومي."[5]

---

[1] البيذق، مصدر سابق، ص 79.

[2] ابن القطان، نظم الجمان، ص 140.

[3] المراكشي، المعجب، ص 165.

[4] البيذق، مصدر سابق، ص 79.

[5] ابن خلدون العبر، مصدر سابق، ج6، ص 305.

و يورد ابن القطان أنّ ابن تومرت اشتدّ به المرض بعد موقعة البحيرة، فأحسّ بدنوّ أجله، فخرج إلى الناس على بغلته ليسمعهم كلامه و وداعه، فقال لهم: إنّ المهدي مرتحل عنكم، فبكى النّاس و استوحشوا، فقالت له أخته زينب: و إلى أين تغيبُ عنّا؟، ألم يكفك أنْ غبت عنّا خمسة عشر عاماً؟، و قالوا له: إنْ كنت تسير إلى الشرق نسير معك، فقال: إنّما أسافر وحدي.[1]

توفّي رحمه الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة أربعة و عشرين و خمسمائة، و دُفن بمدينة تينمل.[2]

و كخلاصة لهذا الفصل و من خلال عرض لمختلف القضايا التي أحاطت بجوانب شخصية ابن تومرت، يتبيّن الاختلاف الواضح بين المصادر المشرقية و نظيرتها المغربية الموحدية، و أنّ هذه الشخصية تم رسمها في كتب أنصاره، فأظهروا كل جميل منها و أخفوا كل قبيح، بل حاولوا التبرير لأفعاله و تصرفاته، أمّا المصادر المشرقية فلقد تعاملت بحذر معها و غضت الطرف عن بعض الجوانب، كالتقائه بالإمام الغزالي ولكنّها تصدت بشدة لبعض القضايا كالمهدية و العصمة، و أرجعت السبب الرئيسي لثورته ضد المرابطين إنما هو سعيه وراء السلطة لا غير، معتمدا على أنصاره الموحدين للترويج له و لأفكاره.

[1] ابن القطّان، نظم الجمّان، مصدر سابق، ص 167.

[2]، نفسه، نفس المصدر، و نفس الصفحة.

الفصل الثّالث:

دراسة نقديّة للمصادر المشرقية والمغربية الموحدية حول منهجها في تناول شخصية ابن تومرت

1-دراسة نقدية للمصادر المشرقية(كتاب تاريخ الإسلام للذهبي أنموذجا).

أ/ ترجمة المؤلف الذهبي.

ب/ وصف عام لكتاب تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام.

ج/ منهج الذهبي في تناول شخصية ابن تومرت من خلال كتاب تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام.

2_دراسة نقدية للمصادر المغربية الموحدية(كتاب أخبار المهدي ابن تومرت و بداية دولة الموحدين أنموذجا).

أ/ ترجمة المؤلف البيذق.

ب وصف عام لكتاب أخبار المهدي ابن تومرت.

ج/ منهج البيذق في تناول شخصية ابن تومرت من خلال كتابه أخبار المهدي ابن تومرت و بداية دولة الموحدين.

1-دراسة نقدية للمصادر المشرقية(كتاب تاريخ الإسلام للذهبي أنموذجا):

أ-ترجمة المؤلّف الذّهبي:

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، وُلد سنة 673هـ/1274م، حافظ، مؤرّخ علّامة، مُحقّق، من أصل تركماني، من أهل ميا فارقين، مولده، و وفاته في دمشق. رحل إلى القاهرة، و طاف كثيرا من البلدان، و كفّ بصره سنة 741هـ، تصانيفه كثيرة تقارب المائة، منها: دول الإسلام، و الكُنى و الألقاب، و تاريخ الإسلام الكبير، و سير أعلام النبلاء، و العبر في خير من عبر، و طبقات القرّاء، و الإعلام بوفيات الأعلام، و غيرها الكثير، توفي رحمه الله سنة 744هـ/1343م بدمشق.[1]

ب-وصف عام لكتاب تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام:

جعل الذهبي كتابه هذا في واحد و عشرين مجلّدا، راعى فيها أن تكون متناسقة من حيث عدد أوراقها، و لم يراع فيها أيّة ناحية تنظيمية، و لذلك لم يلتزم النسّاخ فيما بعد بتجزئة المؤلّف هذه.[2]

و تناول فيه الحوادث و التراجم بداية من السنة الأولى للهجرة، حتى سنة 700هـ، و وضع خطة عامة للكتاب، قسّمه بموجبها إلى وحدات زمنيّة أمَدُها عشر سنوات، أطلق عليها لفظ الطّبقة، و رتّب الحوادث بحسب السنوات، أمّا التراجم فاتّبع فيها تنظيمات مختلفة.[3]

---

[1] الزركلي، مرجع سابق، ج5، ص ص 326- 327.

[2] بشار عواد معروف، **الذهبي و منهجه في كتابة تاريخ الإسلام**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2008، ص 271.

[3] نفسه، نفس الصفحة.

و يقول الذهبي عن كتابه: جمعتُه، و تعبت عليه، و استخرجته من عدّة تصانيف، يَعْرِفُ به الانسان مُهِمَّ ما مضى من التاريخ، من أوّل تاريخ الإسلام إلى يومنا هذا، من وفيات الكبار من الخلفاء، و القرّاء، و الزهّاد، و الفقهاء و المحدّثين، و العلماء و السلاطين، و الوزراء، و النحّاة و الشعراء، و ما تمّ من الفتوحات المشهورة، و الملاحم المذكورة، و العجائب المسطورة، من غير تطويل، و لا استيعاب، و قد طالعتُ على هذا التأليف من الكتب مصنفات كثيرة، كدلائل النبوّة للبيهقي، و سيرة النبي صلّى الله عليه و سلّم لابن اسحاق، و الطبقات الكبرى للواقدي.[1]

ج- منهج الذهبي في تناول شخصية ابن تومرت من خلال كتاب تاريخ الإسلام:

جاء ذكر ابن تومرت في هذا الكتاب ضمن أحداث سنة أربع و عشرين و خمسمائة و هي سنةُ وفاته على الأرجح حسب أغلب المؤرخين.[2]

لم ينتظر الذهبي طويلا للحديث عن النسب المزعوم لابن تومرت لآل البيت، بل ابتدأ حديثه مباشرة بنفي هذا النسب بقوله:" كان يدّعي أنّه حسني علوي"[3]

و يسانده في هذا الرأي الكثير من المؤرخين، خاصة الذين يرون أنّ قضية المهدية هي التي أدّت إلى انتحال هذا النّسب اثباتا لها، و جلبا للاقتناع بها، حيث لا تكون إلّا قرينة لنسب علوي، و يرجع سبب انتشاره و اشتهاره إلى المؤرخين من أولياء الموحدين.[4]

---

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج1، ص 12.

[2] يذكر ابن الأثير أنّ وفاة ابن تومرت كانت في سنة 524هـ.(ينظر، ابن الأثير، مصدر سابق،ج8، ص 660).
و في الجانب الآخر يذكر البيذق نفس تاريخ الوفاة أي 524هـ.(ينظر البيذق، مصدر سابق، ص 135.).

[3] الذهبي، نفسه، ج36، ص 106.

[4] النجار، مرجع سابق، ص 27.

يربط الذهبي بين ادّعاء المهدية و ادّعاء النسب الشريف بقوله: " **هو أبو عبد الله الملقب نفسه بالمهدي**"، ثم بعدها مباشرة في نفس الجملة يقول عنه: " **كان يدّعي أنّه حسني علوي**".[1]

إنّ الذهبي لم يكن مجرد ناقل للأخبار، بل كان يمارس دورا نقديا، فهو يعلّق و يوازن، و يميز بين الصحيح و الضعيف من الروايات.[2]

و هو ينتقل من مورد لآخر، و بين مُدّة و أخرى، و لا يقتصر على مورد واحد عند حديثه عن جميع العالم الإسلامي، فهو يميل إلى المؤلّفين الذين عاصروا الحدث ثم الأقرب، و هكذا.[3]

و بالنسبة لتاريخ الموحدين عامّة و ابن تومرت خاصة ، فهو نقل عن عبد الواحد المراكشي، هذا الأخير قال عنه الذهبي بأنّه اختصر له كتاب المعجب.[4]

و عبد الواحد المراكشي، كان سياسيا له اتصال بالأحداث و مشاهدتها، لذلك عني الذهبي بالنقل عنه.[5]

ينقل الذهبي رواية شفهية سمعها من شيخ عن ابن تومرت، جاء فيها: " أخبرني شيخ عن رجل من الصالحين كان معتكفا في مسجد ب تلمسان، كان ابن تومرت قد نزل فيه، أنّ هذا

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج36، ص 106.

[2] عابد حميان، **منهج الذهبي في تدوين التاريخ الإسلامي من خلال كتاب تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام**، مجلّة عصور، جامعة وهران 1، المجلد، 24، العدد2، ديسمبر 2025، ص 91.

[3] بشار عواد، المرجع السابق، ص 382.

[4] الذهبي، نفسه، نفس الجزء، ص 112.

[5] بشار عواد، نفسه، ص 389.

الأخير خرج ليلة فقال: أين فلان؟ قالوا: مسجون، فذهب إليه و أخرجه من السجن، و السجّانون باهتون لا يمانعونه ".[1]

و هذا النقل عن هذا الشيخ، يدلّ على عناية الذهبي بالتخصص و المعاصرة، في انتقاء الروايات التاريخية من الموارد، والتي أعطت أهمية عظمى لكتابه هذا، إذ حفظ لنا عددا كبيرا من النّصوص الجيدة.[2]

يُقرّ الذهبي بحدوث اللقاء بين ابن تومرت و الغزالي، و ذلك بالرغم من نفي بعض المصادر الأخرى له، فهو يقول: " ثم ارتحل إلى المشرق لطلب العلم و لقي أبا حامد الغزالي و الكيا الهراسي و أبا بكر الطرطوشي ".[3]

و معروف أنّ قضية اللقاء بالإمام الغزالي كانت قد أحدثت لُجاجة حادّة بين المؤرخين.[4]

و يأخذ الذهبي أيضا عن غيره، عندما يقول: " **قال اليسع بن حزم و هذا كل ما أذكره عن المصامدة، فمنه ما شاهدته، و منه ما أخذته بالتواتر** ".[5]

يُثني الذهبي على صفات ابن تومرت بقوله: " **و كان شجاعا، جريئا، عاقلا، بعيد الغور، فصيحا في العربي، قد طُبع عل النهي عن المنكر، متلذّذا به** ".[6]

---

[1] الذهبي، نفسه، نفس الجزء، و الصفحة.

[2] بشار عواد، مرجع سابق، ص 389.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج36، ص 106.

[4] النجار، مرجع سابق، ص 73.

[5] الذهبي، نفسه، نفس الجزء، ص 110.

[6] نفسه، نفس الجزء، ص 107.

و هذا ليس بالغريب عن الذهبي و منهجه، فهو كثيرا ما يغيّر موارده، و ينوع فيها و يحاول أن يورد أكبر عدد ممكن منها، بغية تثبّت الخبر و ضبطه.[1]

و الذهبي معروف عنه عنايته بالتراجم أكثر من الحوادث، فهو يولي لها جل عنايته، و عظيم اهتمامه.[2]

لا يتوانى الذهبي في ذكر بعض القصص التي تدل على كذب و دجل ابن تومرت، من بينها قصة عبد الله الونشريسي الذي كان على قدر من العلم و الفصاحة، فطلب منه ابن تومرت اخفاء ذلك و اظهار البلادة و الجهل أمام الناس ، و كان الونشريسي حديث العهد بمنطقة السوس فقد جلبه ابن تومرت من رحلته المشرقية، وهو ما حدث فاشتهر بين الناس بتلك الصفة من البلادة و الخرص، و في لحظة متفق عليها، أظهر الكثير من الفصاحة و العلم، و هو ما اعتبره الناس معجزة لابن تومرت، و زادوا في تصديقهم له.[3]

و يعتمد الذهبي في أخبار المغرب ولا سيما الموحدين من بني عبد المؤمن، على مصدرين معاصرين لأحداث تلك الفترة: أوّلهما **تاج الدين عبد الله بن حمويه**[4]، الذي كان شيخ الشيوخ بدمشق، و قد زار المغرب سنة 593هـ، و عاش في بلاط ملك مراكش يعقوب بن

---

[1] بشار عواد، نفسه، ص 389.

[2] نفسه، ص 385.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج36، ص 108.

[4] **ابن حمويه:** (572 – 642 هـ / 1177 م – 1244 م)، عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني السّرخسي، و يسمى بعبد السلام، مؤرخ و باحث خراساني الأصل، كان شيخ الشيوخ بدمشق و مولده و فاته بها، زار المغرب سنة 593هـ، و اتصل بملك مراكش منصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، من كتبه: المسالك و الممالك، و السياسة المملوكية. (ينظر، الزركلي، مرجع سابق، ج4، ص 110).

يوسف بن عبد المؤمن، و كان على صِلة قوية به، و ظلّ هناك إلى سنة 600هـ، فاتصل بالأحداث اتّصالا مباشرا.[1]

و اهتم الذهبي اهتماما بالغا بمعاجم الشيوخ و المشيخات، و محاولة استقصائها، و لمّا كانت مثل هذه الكتب لا تضمّ بين دفّتيها سوى الشيوخ الذين اتصل بهم صاحب المعجم و المشيخة، و تلقّى العلم عنهم بالسماع أو بالإجازة، لذلك فهي تُعدّ من أنفس المصادر المعاصرة.[2]

و من أعجب ما قام به المهدي حين أراد أن يستوثق من أتباعه ليعلم مدى اخلاصهم هو قيامه بجمع الناس ليوم معلوم، سمّاه بيوم " التمييز"، و ندب التحكيم فيه لأحد أتباعه القُدامى، و هو البشير الونشريسي، ليميز بين الناس ممن هم مع المهدي المخلصين له البيعة، و ممن كانوا يشككون في داخلهم بصدق دعوته، فكان الونشريسي، يخرج أشخاصا على اليمين و اعتبرهم أصحاب الجنة، و ممن أخرجهم على اليسار سماهم أصحاب النار، فكان مصيرهم القتل، و هذا يدفع إلى الإقرار بأنّ ابن تومرت لم يكن سوى طالب سلطة، هذه القصة ذكرها ابن الأثير.[3]

و يذكر الذهبي أيضا قصصا مشابهة تدل عل سعي ابن تومرت للسلطة بكل الطرق، حتى الغير مشروعة منها، كقوله: " و كان يستميل الشباب الأغمار الذين لا يفقهون شيئا من أمور الدين و الدنيا، و كان أولياؤهم يحذرونهم منه".[4]

---

[1] بشار عواد، مرجع سابق، ص 385.

[2] نفسه، ص ص385- 386.

[3] تيرس نوح، **الدين و المعتقد عند مؤسس دولة الموحدين، هل كان ابن تومرت ينزع إلى التشيع**، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، جامعة الشلف، مجلد، 18، العدد، 01، أوت 2022، ص 14.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج36، ص 110.

و عن طمعه في الملك يذكر: " ففهم الدهاة من أعوان يوسف بن تاشفين من كلامه، طمعه في المُلك، فحذّروه منه".[1]

و الذهبي عندما يعرض لنا هذه الحوادث التاريخية، فإنّه يجمع بين النظام الحولي و المنهج التحليلي في عرض الوقائع، فقسم التاريخ إلى طبقات زمنية متتابعة.[2]

كان الذهبي يستعمل موارد متعددة عند سرد الحادثة الواحدة، أو العصر الواحد، أو الترجمة الواحدة.[3]

مثل قوله:" قال عبد الواحد المراكشي: و أخذوا يشنون الغارات على مراكش"، و يقول: أخبرني من رآه يضرب على الخمر و الأكمام، و يقصد ابن تومرت، و في موضع آخر : و أخبرني من شهده و قد أتى برجل سكران و غيرها من المواضع.[4]

جاء في كتاب طبقات الشافعية للسبكي نصا ينتقد فيه صاحبه الذهبي و منهجه، نقله عن الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي[5]، قال فيه: " أنّ الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي لا أشك في دينه و ورعه و تحرّيه فيما يقوله للناس، و لكنّه غلب عليه مذهب الإثبات و منافرة التأويل، و الغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافا شديدا، فإذا ترجم واحدا منهم يطنب في وصفه فيجمع ما قيل فيه من المحاسن، و يبالغ في وصفه و يتغافل عن

---

[1] الذهبي، نفسه، نفس الجزء، ص 109.

[2] عابد حميان، مرجع سابق، ص 90.

[3] بشار عواد، مرجع سابق، ص 375.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج36، ص 119، و مايليها.

[5] **كيكلدي**: (694 – 761هـ/ 1295– 1359م): صلاح الدين العلائي، خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي، محدث فاضل، بحاث، ولد و تعلم في دمشق، و رحل رحلة طويلة و أقام في القدس مدرسا في الصلاحية سنة 731هـ، و توفي بها، من كتبه المذهب في قواعد المذهب في فقه الشافعية(ينظر، الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص 321.).

غلطاته و يتأوّل له ما أمكن، و إذا ذكر واحدا من الطرف الآخر، كإمام الحرمين، و الغزالي، و نحوهما، لا يبالغ في وصفه، و يكثر من قول من طعن فيه، و يعيد ذلك و يبديه، و يعرض عن محاسنهم الطافحة، و إذا ظفر لأحدهم بغلطة ذكرها، و إذا لم يقدر على واحد منهم يقول في ترجمته: الله يصلحه و نحو ذلك، وسببه المخالفة في العقائد، انتهى".[1]

و لكن هذا النقد ينافي قول الذهبي في ابن تومرت فهو أثنى عليه كثيرا في أخلاقه و صفاته، عندما يقول في شأنه: " و كان شجاعا، جريئا عاقلا، فصيحا في العربي، طبع على النهي عن المنكر، متلذذا فيه، متحملا المشقة و الأذى فيه".[2]

و لكي يبعد عن نفسه النقد و التأويل لجأ الذهبي إلى تنويع موارده، ففي أخبار المغرب اعتمد على عبد الواحد المراكشي، و تاج الدين عبد الله بن عمر بن حموية، و اليسع بن حزم.[3]

إنّ كتاب تاريخ الإسلام، أو التاريخ الكبير ما أحسنه لو لا تعصب فيه، فبالرغم من صدق ما جاء فيه، إلّا أنّه كان شديد الميل إلى آراء الحنابلة، كثير الإزراء بأهل السنّة الذين إذا حظروا كان أبو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة فلذلك لا ينصفهم في التراجم و لا يصفهم بخير.[4]

---

[1] تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمد محمود الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر و التوزيع، ط 2، 1413هـ، ج2، ص 13.

[2] الذهبي، نفسه، نفس الجزء، ص 107.

[3] بشار عواد، مرجع سابق، ص 385.

[4] السبكي، المصدر السابق، ج9، ص 103.

و من المؤرخين القلائل الذين ينتقدون الذهبي و منهجه نجد ابن الوردي الذي يقول عنه: " و اعتمد في ذكر الناس على أحداث يجتمعون به و كان في أنفسهم من الناس، فآذى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين.[1]

و كتاب تاريخ الإسلام هو تاريخ عظيم للإسلام يصل إلى 700 عام هجرية، يقول السبكي صاحب طبقات الشافعية فيه: إنّه كتاب قيّم لو لا بعض التحيز فيه، و لكنّه مُجّلد نفيس.[2]

و لكن بالرغم من هذا النقد للذهبي و منهجه، في كتابه هذا، فإنه يكون قد غطّى أخبار الشرق و الغرب و المركز المهمش، تحلّى بالإنصاف، فذكر مناقب من يختلف معهم، و انتقد من ينتسب إلى طائفته إنْ أخطأ، و هو بعيد عن التعصّب.[3]

2-دراسة نقدية للمصادر المغربية الموحديّة:(كتاب أخبار المهدي ابن تومرت للبيذق أنموذجا):

أ-ترجمة المؤلف البيذق:

يجد الباحث عن الشخصيات التاريخية الأولى لدولة الموحدين صعوبة في الوصول إلى معلومات كافية، تقربنا منها، و على رأسها " أبو بكر بن علي الصنهاجي"[4]حيث تعرف هذه المصادر شحّا في الأخبار التي يمكن من خلالها أن تبني ترجمة وافية لإحدى أهم

---

[1] ابن الوردي، مصدر سابق، ج2، ص 337.

[2] **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، تحرير: م. ت. هو تسما و آخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998، ج16، ص 5036.

[3] عابد حميان، مرجع سابق، ص 91.

[4] عماد تبهوت، **الكتابة التاريخية في العصر الموحدي، البيذق أنموذجا**، دورية كان التاريخية، السنة17، العدد 65، سبتمبر 2024، ص 108.

الشخصيات الموحدية، باعتباره رفيق ابن تومرت خلال رحلته المشرقية، و أحد تلاميذه و رفيق خليفته عبد المؤمن بن علي.[1]

لقد غابت سيرة البيذق في الكتابات التاريخية حتى الموحدية منها، حيث لم نعرف نسبه و لا تاريخ ولادته، أو مكان نشأته ، غير ما جاء في كتاب تاريخ المهدي بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين، فلم يصلنا شيء، سوى اسمه الذي أورده في كتابه أخبار المهدي بن تومرت.[2]

حيث قال: و العبد الفقير أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق.[3]

غير أن تاريخ وفاته يرجّح أن يكون في آخر حياة عبد المؤمن بن علي، لكون البيذق توقف في نقله لأخبار الدولة الموحدية على عهده إذ أنّ آخر باب ذكره عن السلاطين الموحدين، كان باب أولاد الخليفة، و كانت بداية خلافتهم في حياة أبيهم عبد المؤمن ، كما يرجح أن تكون وفاته في عهد ولاية السلطان يوسف بن عبد المؤمن.[4]

ب-وصف عام لكتاب أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين:

يتضح من خلال عنوان الكتاب مضمونه العام ، و الذي تناول فيه أخبار ابن تومرت في قسمين: القسم الأول لرحلته المشرقية، و القسم الثاني تحدّث فيه عن الدولة الموحديّة خلال مرحلة التأسيس.[5]

---

[1] محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989م، ص 5.

[2] عماد تبهوت، نفسه، ص 109.

[3] البيذق، مصدر سابق، ص 23.

[4] عماد تبهوت، المرجع السابق، ص 109.

[5] نفسه، ص 112.

يتميّز كتابُ البيذق بطابعه السردي المباشر، فهو يعتمد أسلوب الرّواية الشخصيّة و المشاهدة الحيّة، فيسرد الأحداث بصيغة المتكلّم في كثير من المواضع، ممّا يجعله ذو قيمة مصدريّة استثنائية من حيث القرب الزمني والمكاني من الأحداث.[1]

يضم الكتاب بين دفتيه ذكرا لكثير من الشخصيات، و التي كان لها انتشار على رقعة المغرب العربي الكبير، يذكرها الكاتب دون نسيان، من تونس إلى المغرب الأقصى، كما لم يذكر مكانا في هذا الامتداد إلّا و ذكر أشخاصه و أعيانه و عامّته و خاصّته، لأنّ المهدي كان يدعو كافّة الناس.[2]

في القسم الأوّل من الكتاب قام البيذق بتتبع أخبار المهدي بن تومرت خلال عودته من رحلته المشرقية، إلى المغرب، محاولا تقديم صورة واضحة عن تنقلاته و الأماكن التي مرّ بها، أو التي أقام فيها، و بمعنى أدقّ أورد البيذق في القسم الأول من كتابه الخطوات الأولى للدعوة الموحدية.[3]

أما في القسم الثاني فيتحدث فيه عن أخبار بداية دولة الموحدين على يد مؤسسها الفعلي عبد المؤمن بن علي، و دوره الفعلي في إرساء معالم دولته، و قضائه على دولة المرابطين، بعد استيلائه على مراكش، و فاة يوسف ابن تاشفين، و كذا عملية التطهير الواسعة لقبائل المغرب الأقصى، و قتل الآلاف منهم، و يقدم الكاتب اعترافا بذلك.[4]

---

[1] البيذق، مصدر سابق، ص ص 3- 5.

[2] وردة سلطاني، **بنية السيرة في كتاب أخبار المهدي بن تومرت للبيذق**، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، المجلد 16، العدد 01، 2023، ص 305.

[3] عماد تبهوت، مرجع سابق، ص 112.

[4] وردة سلطاني، المرجع السابق، ص 305.

و صاحب الفضل في اكتشاف هذا الكتاب، هو الأستاذ **ليفي برفنسال**، و كان كشفا رئيسيا بالنسبة لدراسة حركة ابن تومرت الدينية، و قيام الدولة الموحديّة، و هو من أهمّ المصادر الوثائقيّة الأولى التي وصلتنا دون أن يصيبها التغيير أو الكثير من التحريف.[1]

ج- منهج البيذق في تناول شخصية ابن تومرت من خلال كتاب أخبار المهدي:

يصور البيذق شخصيته المحورية بأنها شخصية محاطة بهالة من التقديس، و أتباعه المحيطون به، يسيرون في فلكه في ولاء مطلق، يقومون بخدمته، و يعينونه في نشر دعوته، في السلم كما في الحرب، و بما أنّه المهدي المنتظر فهو المعصوم ، يعلم الغيب، و يأتي بالخوارق، و ينسبون إليه نبوءات كثيرة.[2]

و يصفُ البيذق كيف خاض ابن تُومرت معارك فكريّة في طريق عودته إلى المغرب، إذْ كان يُنكر المنكر بيده ولسانه، و يُواجه سُلطة المرابطين و علماءهم الذين رماهم بالتجسيم و التقليد الأعمى. وتُقدَّم هذه الصورة ابن تومرت في ثوب البطل القائد.[3]

و هكذا استرسل البيذق في ذكر أخبار المهدي ابن تومرت، و حركته الدعوية، بداية من تونس، و مرورا بمدن المغرب الأوسط، و المغرب الأقصى، حيث أورد أبوابا خاصة لكل منطقة، أو مدينة دخلها، و مثالا عن ذلك نجد: باب دخول المعصوم إلى مكناس، و باب خروج المعصوم من مكناس، و الأمثلة في هذا الجانب كثيرة، إلى أن وصل مراكش عاصمة المرابطين، و منها إلى تينمل و التي فيها تمّت مبايعته.[4]

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج5، ص 9.

[2] وردة سلطاني، نفسه، ص 306.

[3] البيذق، مصدر سابق، ص ص 17- 20.

[4] عماد تبهوت، نفس المرجع، و نفس الصفحة.

و يورد بعض النبوءات مثل ما أخبرهم به عن عبد المؤمن بن علي قبل اللقاء به، و يصبح هذا اللقاء من النبوءات التي تحققت للمهدي، فلقد قال: يصلكم غدا طالبٌ طوبى لمن عرفه و ويل لمن أنكره.[1]

و في واقعة أخرى عندما رحل عبد المؤمن معهم و نال منه التعب في الطريق، أمر أحد أتباعه أن يركبه على دابّته، فلما اتّكأ قال: "يا عبد الواحد طيّب نفسك، فلقد يجازيك عليها بالقصور المشيدة و الجواري المزيّنة و الخيول المسومة".[2]

و هي نبوءة قد تحققت بالفعل فيما بعد عندما تولى عبد المؤمن الخلافة و في موضع آخر عندما حلّوا عند رجل ذبح لهم شاة، و أكرمهم في البادية و عند المغادرة كتب له ورقة و لفّها في جلد، و قال له: يا شيخ أمسك هذا عندك فإن متّ يكون عند بنيك، فإنّه خير لك و لعقبك حتى يصل إلى الموضع ملك و عسكر فادفع البراءة من يدك ليد الملك و لا تعطها أحدا غيره.[3]

و يبدو من الواضح أنّ البيذق لم يكن رجلا عالما في تقييداته التاريخيّة في أخبار المهدي ابن تومرت ، و لكنّه راوي ساذج.[4]

و ليس من البعيد أن يكون نقل تلك الأحداث عن بعض المفتونين بالمهدي، أو اصطنعها هو نفسه، على أنّها من كراماته، و مفاخره، و من مظاهر قوّته و شدّة بأسه، و اطّلاعه على الغيب.[1]

---

[1] البيذق، مصدر سابق، ص 38.

[2] نفسه، ص 39.

[3] وردة سلطاني، مرجع سابق، ص ص 306- 307.

[4] النجار، مرجع سابق، ص 142.

ولكن قد يكون النص العتيق لكتاب البيذق قد انتابته عدة آفات، من أخطاء النساخ، و تحريفاتهم، إلى جانب إضافة بعض المعلومات الفلكلورية أو الأسطورية، و التي عادة ما تكون لها أهداف مَنْقَبيّة تربوية، مما يتمثل عادة في سير كبار رجال الدول من عظماء الساسة، و كبار الأبطال.[2]

نعثر في هذا الكتاب على أخبار نوادر الأفعال التي وقعت للمهدي ابن تومرت خلال رحلته، و جاءت متفرقة على مختلف المدن المغربيّة التي زارها، و هي تصلح لأن تكون عيّنة مفيدة لرسم صورة لشخصيات العامة من الناس، فالرجال عنده قسمان: المناصرون له يصفهم بالشجاعة و الولاء، و عوام الناس في المدن التي دخلها في يصفهم بفساد الأخلاق، و عدم التزام الشريعة.[3]

و في القسم الأخير من الكتاب ذكر فيه الثائرين على النظام الموحدي في المغرب و الأندلس، كما ذكر بعض أخبار يوسف بن عبد المؤمن و حركته الجهادية في الأندلس ضد المرابطين، الذين كانوا يدافعون على ما تبقى لهم من الأراضي فيها.[4]

و في ختام هذا الكتاب وردت وثيقة تلخص أهم أحداث الدعوة الموحدية خلال عهد ابن تومرت دون ذكر اسم صاحبها، و يفترض أنها لناسخ الكتاب.[5]

و هكذا يكون البيذق بصفته شاهد عيان، قريب من كل من ابن تومرت، و عبد المؤمن بن علي، قد أضفى الكثير من الأصالة على بطلي التنظير و التأسيس الأولين للدولة

---

[1] نفسه، نفس المرجع، و نفس الصفحة.

[2] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ص 10.

[3] وردة سلطاني، مرجع سابق، ص 309.

[4] البيذق، مصدر سابق، ص 122 و ما يليها.

[5] عماد تبهوت، مرجع سابق، ص 113.

الموحدية، بل ويعطي التفصيلات المرهقة من مراحل الصراع الأولية بين الموحدين و المرابطين، كما يعرف بأسلوب الترغيب و الترهيب الذي كان يطبقه كل من ابن تومرت و عبد المؤمن، و ذلك ما ظهر بصفة خاصة في نظام التطهير الذي عرف عندهم بنظام التمييز.[1]

تتداخل في هذا الكتاب دوافع كثيرة يمكن حصرها في الدافع الديني، المدفوع بالولاء، و الإعجاب إلى درجة الإيمان المطلق بالمهدي، فهو بالنسبة له يحمل من العلم و الدين، ما يجعله في درجة الكمال، فهو الإمام المعصوم و المهدي المأمول، الذي سيملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا، لذا يستحق كل هذا الولاء، و سيخلد مسيرتهم كأتباع له في سبيل إعلاء كلمة الله.[2]

يمكن الاستخلاص بأن العنف و القسوة صفة ثابتة في شخصية المهدي ابن تومرت، و التي قد تكون أوقعته في بعض المزالق و الأخطاء في قتل المعارضين لثورته، إلّا أنّ ما ورد عند بعض المؤرخين من تصوير لهذا العنف في صورة الدموية الفظيعة، التي لا تتقيد بشرع، فهي تبدو من المبالغات التي روجها الهوى، سواء تقديسا، أو كراهة.[3]

و قد أشار ابن خلدون إلى هذه القضية بقوله: " و يلحق بهذه المقالات الفاسدة و المذاهب القائلة ما يتناوله ضعفة الرأي من فقهاء المغرب، من القدح في الإمام المهدي صاحب دولة الموحدين، ونسبته إلى الشعوذة، و التبليس، فيما أتاه من القيام بالتوحيد الحقّ، و النهي على أهل البغي قبله و تكذيبه لجميع مدعياته في ذلك، حتى فيما يزعم الموحدون من

[1] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ص 10

[2] وردة سلطاني، مرجع سابق، ص 304.

[3] النجار، مرجع سابق، ص ص 142- 143.

أتباعه من انتسابه لأهل البيت، و إنما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن في نفوسهم من حسده على شأنه، فإنهم لمّا رأوا من أنفسهم مناهضته في العلم و الفُتيا و في الدين بزعمهم، ثم امتاز عنهم بأنّه متبوع الرأي مسموع القول، فقدحوا في مذاهبه و التكذيب لمدعاته.[1]

و ينتهي الكتاب فعليا بالإشارة إلى وفاة عبد المؤمن بن علي و ولاية ابنه يوسف في سنة 558هـ/1163م، و يمكن أن يكون منتهيا فعلا في آخر تاريخ مذكور فيه قبل ذلك و هي سنة 550هـ/1153م، بمعنى أنّ ما يأتي بعد ذلك هو إضافات محتملة لمن وضع الكتاب في شكله الأخير، و تتمثل في الصفحات الأخيرة و الملاحق الخاصة بالثوار و الحصون التي بناها المرابطون و من ثم الحوليات المستمرة بعد ذلك.[2]

و في الأخير فإنّ كتاب أخبار المهدي ابن تومرت و بداية دولة الموحدين يبقى على قدر عال من الأهمية المرجعية بالنسبة للفترة المبكرة من تاريخ الموحدين، و شاهدا على عصري المهدي ابن تومرت و الخليفة عبد المؤمن بن علي، و كذا لاحتوائه على معلومات هامّة تفصيلية، الخاصة بالأفراد و أحوال العامة في المغرب في تلك الحقبة.[3]

[1] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج1، ص 35.
[2] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ص 9.
[3] نفسه، نفس الصفحة.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة المَوْسُومة بـ: "**شخصيّة ابن تُومرت بين المصادر المشرقيّة و نظيرتها المغربية الموحّديّة، دراسة تحليلية، نقدية، مقارنة**"، يتبين لنا أنّ شخصية ابن تومرت تُصنّفُ من أكثر الشخصيات التاريخية إثارةً للجدل في تاريخ الغرب الإسلامي، و ذلك بالنّظر للدور الذي قامت به في ارساء قواعد دولة موحّدية قامت على أنقاض دولة مرابطية كانت قد بسطت نفوذها على المنطقة بما فيها الأندلس، و ما زادها جدلا هو: تداخل البعد الديني و السياسي في مشروعه الإصلاحي، و كذلك استعمال أساليب غير مشروعة و اختلاف الخلفيات الفكرية و المذهبية للمؤرخين الذين تناولوا سيرته.

و قد أظهرت الدراسة وجود تباين واضح بين الرّواية المشرقية، و الرّواية المغربية الموحدية في تصوير شخصية ابن تومرت؛ إذْ عمدت المصادر المغربية الموحدية إلى إضفاء طابع القداسة و العصمة عليه، خاصة مع قربها من صناعة الحدث و أحيانا المشاركة فيه كالبيذق الذي كان جزءا من ملحمة ابن تومرت و كان شاهدا عليها، مع التركيز على علمه و زهده و دوره الإصلاحي، و ذلك خدمة للمشروعية السياسية و الدينية للدولة الموحدية. وبالمقابل، اتّسمت أغلب المصادر المشرقية بنوع من التحفظ و النقد، خاصّة تجاه ادّعائه المهدية و العصمة، معتبرة أنّ مشروعه تجاوز حدودَ الإصلاح الدّيني إلى توظيف العقيدة لتحقيق أهداف سياسية، و أظهرته في كثير من الأحيان في ثوب الدجّال المخادع الذي لعب بعقول السذّج من أتباعه.

كان ابن تومرت ليكون قائدا حقيقيا متكامل الصفات لو لا أنّه وقع في المحظورات، خاصة عندما ادعى المهدية و العصمة و أنه خاض في الدماء، من أجل الوصول إلى السلطة، و كيف لتفوقه العلمي الصريح الذي تجلى في أغلب المناظرات التي خاضها و التي خرج منها منتصرا، أن تصنع منه شخصية مهووسة بالفوز بأي صراع حتى لو كان على حساب اسقاط دولة قائمة الأركان، كل هذا الجزء المظلم من شخصيته حاولت المصادر المشرقية إضاءته

عكس نظيرتها الموحدية التي لعبت على وتر تمجيد هذه الشخصية باعتبارها غير قابلة للانتقاد باعتبارها معصومة ، و هو خوّل لها اتخاذ قرارات و تصرفات حتى لو كانت خاطئة.

كما بيّنت الدراسة أنّ اختلاف صورة ابن تومرت في هذه المصادر لم يكن نابعًا فقط من تباين الأحداث التاريخية، بل ارتبط كذلك بخلفيات المؤرخين المذهبية و السياسية، و بالبيئة الفكرية التي كُتبت فيها تلك النصوص. و منه، فإنّ التعامل مع أخبار ابن تومرت يقتضي منا اعتماد المنهج النقدي المقارن، القائم على تحليل الروايات و موازنتها و ربطها بسياقها التاريخي والفكري.

و من أهم النتائج التي توصّلنا إليها أيضًا أنّ المصادر المشرقية، رغم بعدها الجُغرافي عن المجال الموحّدي، قدّمت مادّة نقديّة مهمة تساعد على إعادة قراءة شخصية ابن تومرت، و تفتح عيون الباحث على مزيد من الحقائق التي لم تذكرها المصادر المغربية الموحديّة، بعيدًا عن نزعة التمجيد و التنزيه، التي غلبت على بعض المصادر المغربية . و في المقابل، لا يمكن إغفال القيمة التاريخية للمصادر المغربية، لكونها الأقرب إلى البيئة السياسية و الاجتماعية التي نشأت فيها الحركة الموحدية.

و عليه، فإن دراسة شخصية ابن تومرت تبقى مجالًا خِصْبًا للبحث التاريخي و الفكري، و قد تتعداه إلى اخضاعها لدراسة نفسية معمقة لفهم سبب تحوّلها من شخصية علمية متزنة، حملت على عاتقها لواء الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، إلى شخصية توظف أساليب بدائية، مغلفة بالدجل و الكذب لتحقيق مآرب سلطوية، و كذلك لما تحمله من إشكالات تتعلق بالعلاقة بين الدين والسلطة، و طرق اكتساب شرعية الحكم في تاريخ الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، و هو الأمر الذي يستدعي منا مزيدًا من الدراسات النقدية المقارنة القائمة على تنوع المصادر و تعدد المقاربات، و وجهات النظر.

الملاحق

نماذج من مخطوطات مؤلفات ورسائل ابن تومرت

رسالة إلى أحد تلامذته (نموذج)

صفحة من رسالة منسوبة لابن تومرت ضمن مجموع مخطوطات فاس.

رقم الحفظ: 4042 – القرن السادس الهجري.

رسالة في التوحيد والعقيدة

صفحة من رسالة ضمن مجموعة رسائل منسوبة لابن تومرت – مكتبة برلين.

رقم الحفظ: Ms. or. oct. 1704 – القرن السادس الهجري.

من كتاب «المرشدة» (العقيدة المرشدة)

صفحة من نسخ المخطوط المحفوظة بمكتبة القرويين بفاس (المغرب)

رقم الحفظ: 3856 – القرن السادس الهجري.

كتاب «أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب»

الصفحة الثانية — الصفحة الأولى

من نسخه المخطوط المحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية (Paris, BnF) رقم الحفظ: Arabe 3698 – ويعود تاريخه إلى القرن السادس الهجري.

ملاحظة: التواريخ المذكورة تقريبية، والرحلة استغرقت عدة سنوات في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريين.

نماذج من مخطوطات مؤلفات ورسائل ابن تومرت

3. رسالة منسوبة لابن تومرت (نموذج)

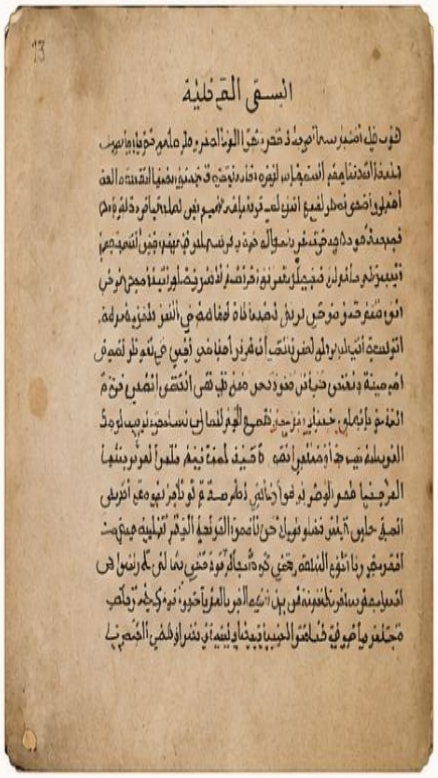

صفحة من رسالة منسوبة لابن تومرت
ضمن مجموعة مخطوطات فاس.

المصدر:

الخزانة الحسنية بفاس – مجموعة المخطوطات.

رقم الحفظ: 4042

القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

المصدر: فهرس مخطوطات الخزانة الحسنية، رقم 4042.

2. مخطوط كتاب «المرشدة (العقيدة المرشدة) »

صفحة من مخطوط كتاب «المرشدة (العقيدة المرشدة)»
للإمام ابن تومرت.

المصدر:

المكتبة الوطنية الفرنسية (BnF) – قسم المخطوطات العربية.

رقم الحفظ: Arabe 3856

القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b8452472p

1. مخطوط كتاب «أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب»

الصفحتان الأولى والثانية من مخطوط كتاب
«أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب»
للإمام محمد بن عبد الله بن تومرت.

المصدر:

المكتبة الوطنية الفرنسية (BnF) – قسم المخطوطات العربية.

رقم الحفظ: Arabe 3698

القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b8452445g

ملاحظة: تختلف نسخ المخطوطات في عدد الأسطر وجودتها، وقد كتبت هذه النماذج في القرن السادس الهجري تقريباً.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

القرآن الكريم.

1-ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،، ط 1، 1997.

2-ابن العماد الحنبلي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1986.

3-ابن القطان، **نظم الجمّان**، تح: محمد علي مكي، دار الغرب الاسلامي، ط 1، 1990.

4-ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.

5-ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1987.

6-ابن تيمية، **درء تعارض العقل و النقل**، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1991.

7-ابن تيمية، **منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشّيعة القدريّة**، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1986.

8-ابن خلدون، **العبر و ديوان المبتدأ و اخبر في تاريخ العرب و البربر و ما عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة: د .سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 1981.

9-ابن خلكان، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

10- ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996.

11- ابن كثير، **البداية و النهاية**، تح : علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، ج12.

12- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1444هـ.

13- أبو القاسم بن حوقل النصبي، **صورة الأرض**، مطبعة بريل، لندن، 1938.

14- الإدريسي، **نزهة المشتاق**، دار عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1409هـ.

15- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971.

16- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمد محمود الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر و التوزيع، ط 2، 1413هـ.

17- تقي الدين المقريزي: **المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط و الآثار**، تح: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، ط 1، 2002.

18- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15،2002.

19- الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح:محمد ماخور، المكتبة العتيقة، تونس، ط 2.

20- سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، دار الرسالة العامية، دمشق، ط 1، 2013.

21- شمس الدين الذهبي، **العِبر في خير مَن عَبَر**، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2

22- شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام**، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1998.

23- شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1984.

24- صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000.

25- عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العربية، صيدا، بيروت، ط 1، سنة 2006.

26- علي ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة، الرباط، 1972.

27- لسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام و ما يتعلق بذلك من الكلام**، تح: ليفني برفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط 2، 1956.

28- مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: د.سهيل زكار و الأستاذ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط 1، 1979.

29- محمد ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح: عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1903.

30- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ج2،تح: جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب ،الدار البيضاء المغرب1418هـ/1997م.

ثانيا: قائمة المراجع:

31- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002.

32- بشار عواد معروف، **الذهبي و منهجه في كتابة تاريخ الإسلام**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2008.

33- سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 1، 2000، ج5، 227.

34- عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1(لا يتوفر على بيانات طبع، من موقع ARCHIVE)

35- عبد المجيد النجار، **المهدي ابن تومرت، حياته و آراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب**، رسالة دكتوراه نالت مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر، ط1 1983م.

36- ليفني برفنسال، **الاسلام في المغرب و الأندلس**، تر: السيد محمد عبد العزيز سالم و محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1990.

37- موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هو تسما و آخرون، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998.

38- محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1989م.

39- محمد حسن العيدروس، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2008 م.

40- محمد عبد الله عنان، **دولة الاسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2.

41- محمد مختار السوسي، **سوس العالمة**، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1960.

42- مونتغمري وات، **في تاريخ اسبانيا الإسلامية**، تر: محمد رضا، شركة المطبوعات، لبنان، ط 2، 1998.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

43- أرحومة سالم أمهيري ابراهيم، **محمد ابن تومرت و آراؤه الفكرية**، بحث مقدم لاستكمال الحصول على درجة الماجيستير، جامعة سبها، ليبيا، 2006.

44- طارق بن زاوي، **مظاهر الزندقة في المغرب و الأندلس و آثارها السياسية من القرن 1هـ إلى القرن7هـ**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله، 2018.

45- عبد المجيد النجار، **المهدي ابن تومرت، حياته و آراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب**، رسالة دكتوراه نالت مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر، ط1 1983م.

46- نور الهدى جلولي و أمال زروق، **المهدي ابن نومرت مهدي الموحدين بين التقديس و التجريم**، رسالة ماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2025.

رابعا: المقالات العلمية:

47- إسماعيل بن عبد الله، **قراءة في مسالك التغيير عند محمد بن تومرت، مجلة العبر للدراسات التاريخية** ، العدد1 جانفي 2024 ،جامعة تلمسان ،ص95

48- تيرس نوح، **الدين و المعتقد عند مؤسس دولة الموحدين، هل كان ابن تومرت ينزع إلى التشيع**، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، جامعة الشلف، مجلد، 18، العدد، 01، أوت 2022.

49- راجح عبد الحميد سعيد، **عصمة الأنبياء عند الأشاعرة في ضوء القرآن الكريم**، مجلة بحوث و دراسات إسلامية، الجامعة الأردنية، العدد 79، 2015.

50- رقاد الجيلالي، **الطقوس الأمازيغية لبوعفيف،"أمغارو قروش"**، مجلة روافد، المجلد 7، جوان2023.

51- عابد حميان، **منهج الذهبي في تدوين التاريخ الإسلامي من خلال كتاب تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام**، مجلّة عصور، جامعة وهران 1، المجلد، 24، العدد2، ديسمبر 2025.

52- عبد القادر ربوح، **منهج الإصلاح ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط**، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، عدد، 9 سبتمبر،2018.

53- عماد تبهوت، **الكتابة التاريخية في العصر الموحدي، البيذق أنموذجا**، دورية كان التاريخية، السنة17، العدد 65، سبتمبر 2024.

54- وردة سلطاني، **بنية السيرة في كتاب أخبار المهدي بن تومرت للبيذق**، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، المجلد 16، العدد 01، 2023.

55- يخلف حاج عبد القادر، **التحالف و الخلاف بين السلطتين الدينية و السياسية نهاية عصر المرابطين و بداية عهد الموحدين**، مجلة عصور الجديدة، 2022، جامعة وهران.

فهرس المحتويات

الشكر

الإهداء

الإهداء

مُقدّمة ..... (أ–د)

الفصل الأوّل: حياة ابن تومرت وسيرته

أولا : أوضاع المغرب قبيل بروز شخصية ابن تومرت:..... 2

ثانيا: حياة ابن تومرت و سيرته: 9

الفصل الثّاني: دراسة مقارنة بين المصادر المشرقية ونظيرتها المغربية لأهم القضايا والآراء حول شخصية ابن تومرت

1- قضية النسب لآل البيت:.....23

2- قضية التقائه بالإمام الغزالي: 30

3- قضيّة المهديّة والعصمة: 34

4- قضيّة العقيدة المُرشِدة:.....46

5- ثورتُه ضِدّ المُرابطين:.....50

الفصل الثّالث: دراسة نقديّة للمصادر المشرقية والمغربية الموحدية حول منهجها في تناول شخصية ابن تومرت

1-دراسة نقدية للمصادر المشرقية(كتاب تاريخ الإسلام للذهبي أنموذجا): 63

2-**دراسة نقدية للمصادر المغربية الموحديّة:(كتاب أخبار المهدي ابن تومرت للبيذق أنموذجا):** 71

الخاتمة 79

الملاحق 83

قائمة المصادر والمراجع.....86

فهرس المحتويات.....87

الملخص باللغة العربية :

تتناول هذه الدراسة شخصية **ابن تومرت** من خلال مقارنة نقدية بين المصادر **المشرقية** و نظيرتها **المغربية**، بهدف الكشف عن حقيقة الصورة التي رسمتها كل فئة من المصادر لهذه الشخصية التي ارتبطت بنشأة الدولة الموحدية في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. و قد اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي المقارن، القائم على جمع الروايات التاريخية و تحليلها و مقارنتها في ضوء السياقات السياسية و المذهبية والفكرية التي كُتبت فيها.

و قد أظهرت الدراسة وجود تباين واضح بين الروايات المشرقية و المغربية في تناول هذه الشخصية؛ إذ اتجهت أغلب المصادر المغربية، خاصة الموحدية منها، إلى تمجيده و إضفاء ملامح دينية عليه، كالزهد و العلم والعصمة والمهدية، في إطار تكريس الشرعية السياسية و الدينية للدولة الموحدية. أما المصادر المشرقية فقد تميّزت بنزعة نقدية أكثر وضوحًا، حيث شككت في بعض ادعاءاته الدينية، واعتبرت مشروعه ذا أبعاد سلطوية تجاوزت حدود الإصلاح الديني.

كما بيّنت الدراسة أنّ صورة ابن تومرت لم تكن انعكاسًا موضوعيًا للأحداث بقدر ما كانت مرتبطة بخلفيات المؤرخين الفكرية و المذهبية، الأمر الذي يؤكد أهمية المنهج النقدي في دراسة المصادر التاريخية. و خلصت الدراسة إلى أن فهم شخصية ابن تومرت يقتضي الجمع بين الروايات المختلفة و تحليلها في إطارها التاريخي، بعيدًا عن التقديس المطلق أو الرفض المطلق.

الكلمات المفتاحية: ابن تومرت، الدولة الموحدية، المصادر المشرقية، المصادر المغربية، النقد التاريخي، المهدية، العصمة، الغرب الإسلامي.

Abstract::

This study examines the figure of **Ibn Tumart** through a comparative critical analysis between **Eastern** Islamic sources and their **Moroccan** counterparts. The research aims to explore how each group of sources portrayed Ibn Tumart, whose personality was closely linked to the rise of the Almohad state in the Islamic West during the 6th century AH / 12th century CE. The study adopts a historical, analytical, and comparative methodology based on collecting, analyzing, and comparing historical narratives within their political, doctrinal, and intellectual contexts.

The study reveals a clear divergence between Eastern and Moroccan sources in their representation of Ibn Tumart. Most Moroccan, particularly Almohad, sources tended to glorify him by attributing religious qualities such as asceticism, scholarship, infallibility, and Mahdism, in order to reinforce the political and religious legitimacy of the Almohad state. In contrast, Eastern sources generally adopted a more critical perspective, questioning some of his religious claims and portraying his movement as a political project that exceeded the limits of religious reform.

The research further demonstrates that the image of Ibn Tumart was not merely an objective reflection of historical events, but rather a product of the ideological and doctrinal orientations of historians. This highlights the importance of the critical historical method in dealing with historical sources. The study concludes that understanding Ibn Tumart's character requires a balanced reading of the various narratives within their broader historical context, avoiding both excessive glorification and absolute rejection.
Keywords: Ibn Tumart, Almohad State, Eastern Sources, Moroccan Sources, Historical Criticism, Mahdism, Infallibility, Islamic